

الشَّرْحُ المُيَسَّرُ

لِثَلَاثَةِ الأُصُولِ وأَدِلَّتِهَا

والقَوَاعِدِ الأَرْبَعِ

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ

تأليف

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَمْرِو بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الفَضْلِي

غَفَرَ اللهُ لَهُ ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

دَارُ الحَدِيثِ السَّلَفِيَّةِ بإب

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أمَّا بعد:

فهذا شرحٌ مختصَرٌ مُفِيدٌ، لهذه الرسالة التي قَلَّت ألفاظُهَا، وعَظُمَ قَدْرُهَا، وجَلَّت مَعَانِيْهَا، التَقَطْتُ ثمارَهُ من شُرُوحَاتِ العُلَماء، ونَظَمْتُ عِقْدَهُ مِن جَوَاهِرِ الحُكَمَاء، لِيَسْهُلَ فَهْمُهُ لِطَالِبِيْه، ويَهُونَ حِفْظُهُ لِمُبْتَغِيْه، عَلَّهُ بهذا الشَّرْحِ الوَجِيْزِ تَسْهُلُ عليه مُطَالَعَةُ شُرُوحَاتِ العُلَماءِ الكِبَار.

والحمدُ لله رَبِّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تَرْجَمةٌ مُخْتَصرةٌ لِشَيْخِ الإِسْلَامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هو مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ سُلَيْمانَ النَّجْدِيُّ التَّمِيْمِيُّ، شَيْخُ الإسلامِ، وعَلَمُ الأَعْلَامِ، مُجَدِّدُ الدين، وُلِدَ(١١١٥)، وتُوُفِّيَ(١٢٠٦) وكانَ عالِمًا جَلِيْلًا، وعَلَمًا شَهِيْرًا، أَحْيَا اللهُ به ما انْدَرَسَ مِن مَعَالِمِ الدِّيْنِ، وقَمَعَ اللهُ به الشِّرْكَ والمشركينَ، فَرِحَمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً.

رِسَالَةُ ثَلَاثَةِ الأُصُولِ وأَدِلَّتِهَا

هذه الرِّسَالةُ عظيمةُ النَّفْعِ، جَلِيْلَةُ القَدْرِ، نَفَعَ اللهُ بها المسلمينَ نَفْعًا عظيمًا، جَمَعَتْ كَثِيْرًا مِن مُهِمَّاتِ الدِّيَانَةِ، ويَكْفِي في ذلكَ اشْتِمَالُهَا على أَسْئِلَةِ القَبْرِ الثَّلَاثَةِ، وبَيَّنَ فيها أركانَ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ بأَدِلَّتِهَا؛ لِيَكُونَ المسلمُ في ذلك على يَقِيْنٍ أنَّ عَقِيْدَتَهُ لم تُؤْخَذْ بالتَّقْلِيْدِ، وإنَّمَا بأَدِلَّةِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ.

وقد اعْتَنَى بها العُلَماءُ عِنَايَةً كبيرةً، فلا يَكَادُ يُوْجَدُ عَالِمٌ بعدَ المُصَنِّفِ إلا وقد دَرَّسَهَا مِرَارًا لتَلَامِيْذِهِ، وقد ذَكَرُوا عن الإمامِ ابنِ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّهُ لما كانَ قَاضِيًا في الدَّلْمِ دَرَّسَهَا أَكْثَرَ مِن مِائَةِ مَرَّةٍ، وبهذا يَرْسُخُ التوحيدُ في قُلُوبِ المسلمينَ، ويُعِزُّهُم اللهُ ويُذِلُّ أَعْدَاءَهُم.

واسْمُ هَذِه الرِّسَالَةِ "ثَلَاثَةُ الأُصُولِ" لا "الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ"، كما بَيَّنَ ذلكَ العُلَمَاءُ العَارِفِيْنَ بكُتُبِ المُصَنِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأمَّا "الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ" فإنَّهَا رسالةٌ أُخْرَى للمُصَنِّفِ، موجودةٌ ضمنَ مجموعِ رَسَائِلِهِ، وهي أَخْصَرُ من هذه، وكَثيرًا ما يَحْصُلُ الخَلْطُ بينَ التَّسْمِيَتَيْنِ فَتَنَبَّه.

والمَسَائِلُ الأَرْبَعُ والمَسَائِلُ الثَّلَاثُ المذكورةُ في أَوَّلِ الرِّسَالةِ هي مِن رَسَائِلِ المُصَنِّفِ، ولَيْسَتْ مِن ثَلَاثَةِ الأُصُولِ، وأَضَافَهَا بعضُ تَلَامِيْذِهِ لعَلَاقَتِهَا به، ثُمَّ تَتَابَعَ الأَمْرُ على ذلكَ، كما أَشَارَ إلى ذلكَ ابنُ قَاسِمٍ في حَاشِيَتِهِ، وهو مَعْرُوفٌ عندَ العُلَمَاءِ العَارِفِينَ بكُتُبِ المُصَنِّفِ، الذين أَخَذُوا هذه الكُتُب بالتَّلَقِّي بالإسنادِ إلى المُصَنِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[المَسَائِلُ الأَرْبَع]

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ابتدأ المُصَنِّفُ رسالَتَهُ بالبَسْمَلَةِ اقْتِدَاءً بكِتَابِ اللهِ حيثُ جُعِلَت البَسْمَلَةُ في أَوَّلِ كُلِّ سُوْرَةٍ منه عدا سُوْرَةِ بَرَاءَة، واقتداءً بالنبي ﷺ حيثُ كانَ يَبْتَدِئُ رَسَائِلَهُ بالبَسْمَلَةِ، والتَّصَانِيْفُ تَجْرِي مَجْرَى الرَّسَائِل.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ علينا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِل.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: قولُهُ: (**اعْلَمْ**) أي: تَعَلَّمْ وافْهَم مَا يُلْقَى إليكَ مِن العِلم، وهي كَلِمَةٌ يُؤْتَى بها للتَّنْبِيْهِ على أَهَمِّيَةِ ما سَيُذْكَرُ بعدَ ذلك.

وقولُهُ: (**رَحِمَكَ اللهُ**) دُعَاءٌ للمُتَعَلِّم بأَنْ يَرْحَمَهُ الله.

ومعنى: (رَحِمَكَ اللهُ) أي: غَفَرَ اللهُ لك ما مضى من الذُّنُوبِ، ووَفَّقَكَ فيما يُسْتَقْبَل.

فإِنْ قُرِنَت الرَّحْمَةُ بالمَغْفِرَةِ، فالمرادُ بالمغفرةِ غُفْرَانُ ما مضى، وبالرَّحْمَةِ التَّوْفِيْقُ فيما يُسْتَقْبَل.

وهذا الدُّعَاءُ يَدُلُّ على رحمةِ المُصَنِّفُ بالمتعلمين، ومحَبَّتِهِ الخيرَ لهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً.

وقولُهُ: (أَنَّهُ يَجِبُ علينا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلِ) المرادُ بالوُجُوبِ هُنَا الوُجُوبُ العَيْنِي على كُلِّ مُسْلِمٍ، فإنَّ **الوَاجِبَ نوعان:**

الأول: فَرْضُ عَيْنٍ وأَحْسَنُ ضَابِطٍ لفَرْضِ العَيْنِ مِن العِلْمِ هو: ما وَجَبَ على العبدِ فِعْلُهُ وَجَبَ عليه تَعَلُّمُهُ. ذَكَرَ هذا جَمَاعَةٌ مِن الأَئِمَّةِ منهم الآجُرِّيُّ في "فَرْضِ طَلَبِ العِلْم"، وابنُ القَيِّم في "إِعْلَامِ المُوَقِّعِيْن"، والقَرَافِيُّ في "الفُرُوق" وغيرُهُم.

قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَجِبُ أن يَطْلُبَ مِن العِلمِ ما يَقُومُ به دِيْنُهُ، قِيْلَ له: مِثْلُ أَيِّ شَيْءٍ؟ قال: الذي لا يَسَعُهُ جَهْلُهُ صَلاتُهُ وصِيَامُهُ ونحو ذلك.

قال العلامةُ عبدُ الرَّحمن بنُ قَاسِمٍ العَاصِمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في حَاشِيَتِه**: فما كان واجبا على الإنسانِ العَمَلُ به، كأُصُولِ الإيمان، وشَرَائِعِ الإسلام، وما يَجِبُ اجتنابُهُ مِن المحرمات، وما يحتاجُ إليه في المُعَامَلات ونحو ذلك، مما لا يَتِمُّ الوَاجِبُ إلا به، فهو وَاجِبٌ عليه العِلْمُ به.ا.هـ

فيَجِبُ على العبدِ تَوْحِيْدُ الله، واجتنابُ الشِّرْكِ به، ويَجِبُ عليه الوُضُوءُ والصَّلَاةُ والصِّيَامُ، فيَجِبُ عليه تَعَلُّمُ أَحْكَامِ ذلك الوَاجِبَةِ، وإن مَلَكَ مَالًا فيه الزَّكَاةُ وَجَبَ عليه تَعَلُّمُ أَحْكَامِ الزَّكَاةِ، وإن اسْتَطَاعَ الحَجَّ وَجَبَ عليه تَعَلُّمُ أَحْكَامِهِ، وعلى ذلك فَقِسْ.

والآخر: **فَرْضُ كِفَايَةٍ** وهو الذي إذا قامَ به مَن يَكْفِي سَقَطَ عن الباقين.

مِثلُ: صَلاةِ الجَنَازَةِ، وغَسْلِ المَيِّتِ، ودَفْنِهِ، وإنْقَاذِ الغَرِيْقِ، ومنه: طَلَبُ العِلْمِ فيما زَادَ عن المقدارِ الذي هو فَرْضُ عَيْن، وهو مِن آكَدِ فُرُوضِ الكِفَايَاتِ، ومِن أَجَلِّ العِبَادَات والقُرُبَاتِ، ولهذا قال جَمَاعَةٌ مِن السَّلَفِ: طَلَبُ العِلْمِ أَفْضَلُ مِن صَلَاةِ النَّافِلَةِ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأُولَى: الْعِلْمُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ به.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إليه.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: بَابُ العِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المَسَائِلَ الأَرْبَعَ التي يَجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ تَعَلُّمُهَا وهي: **الأولى**: العلم. **والثانية**: العمل به. **والثالثة**: الدعوة إليه. **والرابعة**: الصبر على الأذى فيه.

وبَيَّنَ المرادَ بالعِلْمِ بقوله: (**وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، ومَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بالأَدِلَّةِ.**) والواجِبُ تَعَلُّمُهُ مما يتعلقُ بهذه الثلاث هو: المعرفةُ الإِجْمَالِيَّهُ دونَ التَّفْصِيْلِيَّةِ؛ فإنَّ تَفَاصِيْلَ المسائلِ المتعلقةِ بمعرفةِ اللهِ ومعرفةِ نبيهِ ومعرفةِ دينِ الإسلامِ كثيرةٌ جِدًّا، ومنها ما يَجِبُ، ومنها ما لا يَجِبُ.

فيَجِبُ على كُلِّ مسلمٍ أن يعرفَ بأنَّ اللهَ جل وعلا هو المتفردُ بالربوبيةِ المستحقُّ للعبادةِ الذي له الأسماءُ الحُسْنَى والصِّفَاتُ العُلَى.

ويجبُ أن يعرفَ بأنَّ مُحَمَّدًا عبدُ اللهِ ورسولُهُ، فهو عَبْدٌ فلا يُعْبَدُ ورَسُوْلٌ فَلَا يُكَذَّبُ، وأَنَّهُ خَاتَمُ الأنبياء ونحو ذلك.

ويجبُ عليه أن يعرفَ بأنَّ دينَ الإسلامِ حَقٌّ، وأنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ دِيْنًا سِوَاهُ، ويعرفَ أركانَ الإسلامِ ونحو ذلك من الواجِبَاتِ والمُحَرَّمَاتِ المعلومَةِ مِن الدِّيْنِ بالضَّرُوْرَة.

وقولُ المُصَنِّفِ: (**بالأَدِلَّةِ**) هذا مُتَعَلِّقٌ بمعرفةِ الله ومعرفةِ نبيهِ ومعرفةِ دينِ الإسلامِ، ومعنى ذلك أن يعلمَ يَقِيْنًا أنَّ ما اعْتَقَدَهُ مما يتعلقُ باللهِ ورسولهِ ودينِ الإسلامِ ثَابِتٌ بالأدلةِ الشَّرْعِيَّةِ ولو لم يَسْتَحْضِرْ أَفْرَادَ الأَدِلَّة.

فلو سُئِلَ عَامِّيٌّ: مَن خَلَقَك؟ ومَن رَبُّك؟ ومَن رَزَقَك؟ ومَن المُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ؟ فأجاب: الله. فقيل له: ما هو الدَّلِيْلُ على ذلك؟ فقال: لا أَسْتَحْضِرُ دليلا على ذلك. فهو مُسْلِمٌ وإيمانُهُ صَحِيْحٌ؛ لأَنَّهُ يعتقدُ اعتقادا جَازِمًا بما ذكره، ويعلمُ أَنَّهُ ثَابِتٌ بالأدلةِ الشَّرْعِيَّة.

وقولُ المُصَنِّف: (الثانية: العَمَلُ به.)

العَمَلُ بالعِلمِ هو ثَمَرَةُ العِلم، فعِلْمٌ بلا عَمَلٍ كشَجَرٍ بلا ثَمَرٍ، وقَوْسٍ بلا وَتَرٍ، ولهذا كانَ مِن دُعَاءِ النبي ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ» كما في مسلم(٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والعملُ بالعِلْمِ يَشْمَلُ أَرْبَعَةَ أُمُور:

أَوَّلُها: تَصْدِيْقُ الأَخْبَارِ، فقَوْلُهُ تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] العملُ بها بالتَّصْدِيْقِ الجَازِمِ أنَّ اللهَ هو الحيُّ القَيُّومُ المستحقُّ للعبادةِ، وأَنَّهُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ؛ لكَمَالِ حَيَاتِهِ وقَيُّومِيَّته.

وثانيها: امتثالُ الأَوَامِر، كإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وإيتاءِ الزَّكَاةِ، وصَوْمِ رمضان.

وثالثها: اجتنابُ النَّوَاهِي، كالزِّنَى، والسَّرَقَةِ، وقَتْلِ النَّفْسِ المُحَرَّمَة.

ورابعها: اعتقادُ حِلِّ الحَلَال، فقولُهُ تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة:٩٦]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل:١٤]، فالعملُ بهما باعتقادِ حِلِّ صَيْدِ البَحْرِ وجَوَازِ أَكْلِه.

وقوله: (الثالثة: الدَّعْوَةُ إليه.)

الدَّعْوَةُ إلى الله مِن الواجباتِ العَظِيْمَةِ، ولا تَخْتَصُّ الدَّعْوَةُ إلى الله بإِقَامَةِ الدُّرُوسِ والمَحَاضَرَاتِ، بل تَشْمَلُ الأَمْرَ بالمعروفِ، والنَّهيَ عن المنكرِ، وتَعْلِيْمَ الجَاهِلِ، وتَذْكِيْرَ الغافلِ، فكُلُّ مُسْلِمٍ تَجِبُ عليه الدعوة إلى الله.

ولا يجوزُ أن يدعوَ إلى الله على جَهْلٍ، كما تَصْنَعُ بعضُ الجَمَاعَاتِ اليوم، وإنَّما تكونُ الدَّعْوَةُ بعِلْمٍ وبَصِيْرَةٍ كما قال الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

وقولُهُ: (الرابعة: الصَّبْرُ على الأَذَى فيه.)

الصَّبْرُ على الأَذَى في تَعَلُّمِ العِلْمِ وتَحْصِيْلِهِ، وفي العملِ به وامتثالِهِ، وفي

الدَّعوةِ إليه، فإنَّ كُلَّ ذلكَ يحتاجُ إلى صَبْرٍ، ومَن دعا إلى الحق، فلا بد أن يُبْتَلى ويُؤْذَى، كما قال وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ للنبي ﷺ: «لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ» متفق عليه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واللهُ يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١]، فأَبْشِرْ بنَصْرِ الله وهدايته، وحفظِهِ ورعايَتِهِ، وإن كَثُرَ المُبْطِلُون، وكَثُرتْ شُبُهَاتُهُم، فإنَّ الحَقَّ مَنْصُورٌ، والبَاطِلَ مَدْحُورٌ، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

ثم ذكر المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الدليل على هذه المسائل الأربع وهو سُورَةُ العَصْرِ

فقولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيه العِلْمُ؛ لأنَّ الإيمانَ لا يُوْجَدُ إلا بعِلْمٍ. وقولُهُ: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيه العَمَلُ بالعِلْمِ. وقولُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ فيه الدَّعْوَةُ إلى الله حيثُ أَوْصَى بعضُهُم بَعْضًا بالحق، والتَّوَاصِي يكونُ بين اثنين. وقولُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: أَوْصَى بعضُهُم بَعْضًا بالصَّبْر.

ثم ذكر المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ قولَ الإمامِ محمدِ بنِ إِدْرِيْسَ الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

ولم يُذْكَرْ لقَولِ الشافعي إِسْنَادٌ، ولكن قد تتابعَ أهلُ العلمِ على ذكره، كشيخِ الإسلامِ وابنِ القيم وابنِ كثير وغيرهم، بألفاظٍ مُقَارِبَةٍ منها: (لو تَدَبَّرَ النَّاسُ سُورَةَ العَصْرِ لكَفَتْهُم) و(لو فَكَّرَ النَّاسُ في سُوْرَةِ العَصْرِ لكَفَتْهُم).

ومعنى قولِهِ: (لكَفَتْهُم) أي: في وُجُوبِ امتثالِ شَرْعِ الله؛ لما فيها مِن الفُرقَان بينَ أسبابِ النجاةِ والخسران، ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ منهم شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّة وعبدُ اللطيفِ آلُ الشيخ وابنُ باز وابنُ عثيمين وغيرُهُم.

قال ابنُ عُثَيْمِيْن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شَرْحِه: مُرَادُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ هذه السُّوْرَةَ كَافِيَةٌ للخَلقِ في الحَثِّ على التمسكِ بدينِ الله بالإيمانِ، والعملِ الصالحِ، والدَّعوةِ إلى الله، والصَّبرِ على ذلك، وليسَ مُرَادُهُ أنَّ هذه السورةَ كَافِيَةٌ للخَلْقِ في جَمِيْعِ الشريعة.ا.هـ

ثم ذكر المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولَ الإمامِ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ البُخَاري صَاحِبِ الصَّحِيح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَابُ العِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ. انتهى كلامُ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وزادَ المُصَنِّفُ إيضاحا: قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

فالعلم في قوله: (فاعْلَم)، والقَولُ والعَمَلُ في قوله: (واستغفر لذنبك).

والبدءُ بالعلمِ قبلَ القَوْلِ والعَمَلِ؛ لأَنَّهُ لا يُمكنُ أن يتقربَ العبدُ إلى الله إلا بما عَلِمَ أَنَّهُ مِن شَرْعِ الله، وإلا فعَمَلُهُ مَرْدُوْدٌ عليه كما قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري(٢٦٩٧) ومسلم(١٧١٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

[المَسَائِلُ الثَّلاثُ]

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ والْعَمَلُ بِهِنَّ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: تقدمَ بَيَانُ معنى قولِهِ: (اعْلَمْ رَحِمَك اللهُ) فراجعه.

والمرادُ بالوُجُوبِ هُنَا أيضا: الوُجُوبِ العَيْنِي على كُلِّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٥-١٦].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: المقصودُ بهذِهِ المسألةِ الأُوْلَى: وُجُوبُ طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وهي مَسْأَلَةٌ عظيمةٌ، فإنَّ اللهَ لم يُرْسَلْ رُسُلَهُ إلا لِيُطِيْعَهُم النَّاسُ، ويَمْتَثِلُوا ما يأمُرُونَهُم به، أو يَنْهَونَهُم عنه، قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء:٦٤]، والأدلةُ الآمرةُ بطاعةِ الرسولِ

ﷺ في كتابِ الله ﷻ، وفي سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، يَصْعُبُ حَصْرُهَا، بل هو مِن المعلومِ مِن الدين بالضَّرُورَة قال الله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وروى البخاري (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

وقولُ المُصَنِّفِ: (هَمَلًا) أي: مُهْمَلِين لا نُؤمَر ولا نُنْهَى قال الله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

ومعنى (وَبِيلًا): أَيْ: شَدِيدًا، فَاحْذَرُوا أَنْتُمْ أَنْ تُكَذِّبُوا هَذَا الرَّسُولَ، فَيُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ فِرْعَوْنَ، حَيْثُ أَخَذَهُ اللهُ أَخذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ إِنْ كَذَّبْتُمْ؛ لِأَنَّ رَسُولَكُمْ أَشْرَفُ وَأَعْظَمُ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. انظر: تفسير ابن كثير.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه في عبادته أحد لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: مقصودُ هذهِ المسألةِ الثانيةِ: وُجُوبُ تَوْحِيْدِ الله ﷻ، وإِفْرَادِهِ بالعبادة.

والتوحيدُ هو أَوَّلُ وَاجِبٍ على العباد، ومِن أَجْلِهِ أُرْسِلَت الرُّسُلُ، وأُنْزِلَت الكُتُبُ، وخُلِقَتْ الجَنَّةُ والنَّارُ، فهو حَقٌّ لله سبحانه لا يَجُوزُ أن يُصْرَفَ شَيْءٌ منه لغير الله، ولو عَظُمَ قَدْرُهُ وجَاهُهُ ومَنْزِلَتُهُ ولو كانَ مَلَكًا مُقَرَّبًا كجبريلَ أو نَبِيًّا مُعَظَّمًا كنبينا ﷺ الذي هو خَيْرُ الخَلْقِ وسَيِّدُ النَّاس.

وقد اسْتَدَلَّ المُصَنِّفُ بقولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، فقولُهُ: (المَسَاجِدُ) فيها تفسيران:

الأول: مَوَاضِعُ السُّجُودِ. والآخَرُ: أَعْضَاءُ السُّجُود. وكُلُّهَا يَجِبُ أن يُفْرَدَ اللهُ بالعبادة بها.

وقولُهُ: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ أي: لا تَعْبُدُوا معَ الله أحدا.

وذلكَ؛ لأنَّ الدُّعَاءَ إذا أُطْلِقَ في خِطَابِ الشَّرْعِ يُرَادُ به العِبَادَة، كما سيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

وقولُهُ: (أَحَدًا) نَكِرَةٌ في سِيَاقِ النَّهْيِّ تُفِيْدُ العُمُومَ، فلا يُعْبَدُ مع الله أحدٌ لا ملكٌ ولا نبيٌ ولا وليٌ ولا غيرُ ذلك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يجوز له موالاة من حاد الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: مقصودُ هذه المسألةِ الثالثةِ: وُجُوبُ البَرَاءَةِ مِن الكافرين، فإنَّهُ لا يَصِحُّ إيمانُ العبدِ حتى يَتَبَرَّأَ مِن الكافرين قال الله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة:٢٥٦]، وعن طَارِقِ بنِ أَشْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ

يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ» رواه مسلم(٢٣)، **فَعَلَّقَ عِصْمَةَ الدَّمِ والمَالِ بأمرين:**

الأول: قولُ: لا إله إلا الله. **والآخَرُ:** الكُفْرُ بما يُعبدُ مِن دون الله. وهو مِن لازمِ قولِ: لا إله إلا الله.

ومُوَالَاةُ الكَافِرِينَ مِن المُحَرَّمَاتِ العَظِيْمَةِ، وتكونُ تَارَةً كُفْرًا أَكْبَرَ، وتَارَةً كُفْرًا أَصْغَرَ على تَفْصِيْلٍ يَمُرُّ مَعَكَ في غير هذه الرسالةِ المختصرةِ، وقد ذَكَرَ المُصَنِّفُ قولَهَ تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية. فنَفَى اللهُ سبحانه أن يُوجَد مُؤمِنٌ يَوَدُّ أعداءَ الله، وذلكَ لبَيَانِ أنَّهُ مِن المحرماتِ العظيمةِ، فإنَّ **النَّفْيَ نَهْيٌ وزِيَادَةٌ.**

وقال اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤] والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ.

واحْذَرْ مِن دُعَاةِ السُّوْءِ والضَّلَالِ الذين ينشرونَ اليومَ الدَّعْوَةَ إلى وحدةِ الأديانِ، وحُرِّيَّةِ الأديان، وإلى مَحَبَّةِ الكافرين، والتَّسَامُحِ معهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: قولُهُ: (أَرْشَدَكَ اللهُ لطَاعَتِهِ) أي: هَدَاكَ ووَفَّقَكَ إلى ما يَنْفَعُكَ في دُنْيَاك وآخِرَتِك.

وقولُهُ: (أنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) الحَنِيْفُ هو: الْمُقْبِلُ على الله الْمُعْرِضُ عن كُلِّ ما سِوَاه. فالحنيفيةُ عبادةُ الله وَحدَهُ مُخْلِصًا له الدين.

وأضافَ الْمُصَنِّفُ الحنيفيةَ إلى إبراهيمَ مع كَونِهَا دينَ جميعِ الأنبياء اتِّبَاعًا لكتابِ الله قال الله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].

ثم ذَكَرَ المُصَنِّفُ الدليلَ على أنَّ كُلَّ النَّاسِ مأمورونَ بعبادةِ الله، وهو قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] فما خَلَقَنَا اللهُ لأَجْلِهِ، فنحنُ مأمورونَ به، وهذا كما تقدمَ معلومٌ من الدين بالضَّرُورَة.

والعِبَادَةُ شَرْعًا لها معنيان:

أحدهما: عامٌّ وهو اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ مِن الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَة. ذَكَرَهُ شيخُ الإسلام في العُبُودِيَّة.

والآخر: خاصٌّ وهو التَّوْحِيْد.

قاعدة: إذا أُطْلِقَت العبادةُ في الأدلةِ الشرعيةِ فالمرادُ بها المعنى الخاص وهو التَّوْحِيْد.

فقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: يُوَحِّدُون.

وقولُهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] أي: وَحِّدُوا الله.

والإخلاصُ شَرْعًا: تَصْفِيَةُ القَلْبِ مِن إِرَادَةِ غيرِ الله.

فيَعْمَلُ العَمَلَ يَبْتَغِي به وَجْهَ الله فقط، فلا يُرِيْدُ به رِيَاءً ولا ثَنَاءً ولا شُهْرَةً ولا مَالًا ولا جَاهًا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: التَّوْحِيْدُ شَرْعًا له معنيان:

أحدهما: عَامٌّ وهو إِفْرَادُ الله بِحَقِّه.

وحَقُّ الله يَشْمَلُ أنواعَ التوحيدِ الثلاثة: تَوحِيْدَ الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ والأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ.

ودليلُهُ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، فهو أحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وإن شئتَ قُلتَ في معناه: إفرادُ الله برُبُوبِيَّتِهِ وأُلُوهِيَّته وأسمائِهِ وصفاتِهِ.

والآخَرُ: خَاصٌّ وهو إفرادُ الله بالعبادةِ. وهو تَوْحِيْدُ الأُلُوهية.

قاعدة: إذا أُطْلِقَ التَّوحِيْدُ في الأدلةِ الشرعيةِ، فالمرادُ به تَوْحِيْدُ الأُلُوهية.

لأنَّهُ التوحيدُ الذي أَرْسَلَ اللهُ مِن أجلهِ رُسُلَهُ، وحَصَلَ النِّزَاعُ بينَ الرُّسُلِ وأَقْوَامِهِم مِن أجله.

فائدة: لَفْظُ التَّوْحِيْد وَرَدَ في الأدلةِ بِقِلَّةٍ، وأمَّا ما يَدُلُّ عليه مِن ذِكْرِ كَلِمَةِ التَّوْحِيْد (لا إله إلا الله) فكثير.

والشِّرْكُ شَرْعًا له معنيان:

أحدهما: عَامٌّ وهو جَعْلُ شَيْءٍ مِن حَقِّ الله لغَيْرِه.

وهو يَشْمَلُ الشِّرْكَ في الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ والأَسْمَاءِ والصِّفَات.

ودليلُهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وحديثُ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» رواه البخاري(٤٤٧٧) ومسلم(٨٦).

والآخر: **خَاصٌّ** وهو جَعْلُ شَيْءٍ مِن العِبَادَةِ لغَيْرِ الله. وهو الشِّرْكُ في الأُلُوهِيَّةِ

قاعدة: إذا أُطْلِقَ الشِّرْكُ في الأَدِلَّةِ الشرعيةِ، فالمرادُ به الشِّرْكُ في الأُلُوهِيَّةِ.

فقولُ المُصَنِّفِ: التَّوْحِيْدُ: إِفْرَادُ الله بالعِبَادَةِ. تَفْسِيْرٌ له بالمعنى الخاص.

وقولُهُ: الشِّرْكُ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ. تقدمَ أنَّ الدُّعَاءَ إذا أُطْلِقَ أُرِيْدَ به العبادة، فمعنى ذلك: عِبَادَةُ غَيْرِ الله معه. وهو تَفْسِيْرٌ للشِّرْكِ بالمعنى الخاص.

واسْتَدَلَّ المُصَنِّفُ على أنَّ أَعْظَمَ ما أَمَرَ اللهُ به التَّوْحِيْدُ، وأَعْظَمَ ما نَهَى عنه الشِّرْكُ بقولِهِ تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦] وهو اسْتِدْلَالٌ صَحِيْحٌ؛ لأَنَّ الآيةَ المذكورةَ هي آيَةُ الحُقُوقِ العَشَرَةِ، وابْتَدَأَهَا اللهُ بالأَمْرِ بالتَّوحيدِ، والنَّهْيِ عن الشِّرْكِ، وإنما يُبْدَأُ بالأَهَمِّ والأَعْظَمِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: هذه هي الأصولُ الثلاثةُ التي مِن أجلها أُلِّفَت الرِّسَالةُ، ويُسْأَلُ عنها العَبْدُ في قَبْرِه.

فإذا قيلَ لك: ما هو الدَّلِيْلُ على هذه الأُصُولِ الثلاثة؟

فَقُل: كُلُّ دَلِيْلٍ فيهِ الأَمْرُ بعِبَادَةِ الله فهو دَلِيلٌ عليها؛ لأنَّ العبادةَ تَحْتَاجُ إلى مَعْرِفَةِ المعبودِ وهو الله، والمُبَلِّغِ عنهُ وهو الرَّسُولُ ﷺ، وكَيْفِيَّةِ العِبَادَةِ وصِفَتِهَا وهو مَعْرِفَةُ دِيْنِ الإسلام.

[الأَصْلُ الأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ]

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ) : مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ سُؤَالا عَظِيمًا يُسْأَلُ عنه العَبْدُ في قَبْرِه وهو: مَن رَبُّكَ؟

أَيْ: مَن خَالِقُكَ ورَازِقُكَ ومَعْبُودُكَ الذي ليسَ لكَ مَعْبُودٌ سِوَاه؟

والجوابُ هو: رَبِّيَ اللهُ الذي أَوْجَدَنِي مِن العَدَم، وأَسْبَغَ عَلَيَّ مِن النِّعَمِ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ مِن فَضْلِهِ وجُوْدِهِ وكَرَمِهِ، والعبدُ يَتَقَلَّبُ في نِعَمِ الله وهو حَمْلٌ في بَطْنِ أُمِّهِ، ثُمَّ إذا خرجَ إلى هذه الحياةِ يَسَّرَ اللهُ له أسبابا أُخْرَى وهكذا إلى أن يَمُوتَ، فَمَن كانَ مُتَفَرِّدًا بالخَلْقِ والرَّزْقِ والإِحْيَاءِ والإِمَاتَةِ وغيرها فهو المستحقُّ للعبادةِ وَحْدَهُ لا شريك له.

والمرادُ بالسُّؤَال في القَبْرِ: مَن رَبُّكَ؟

أَيْ: مَن مَعْبُودُكَ؛ لأَنَّ الكُفَّارَ يُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ رَبُّهُم وخَالِقُهم ورَازِقُهم، ولم يَنْفَعْهُم ذلكَ قال الله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزخرف:٨٧] والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ مَعْلُومَةٌ.

ويُطْلَقُ الرَّبُّ في الأدلةِ ويُرَادُ به المعبود كقوله تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠] أي: مَعْبُودِين.

وقولِهِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١] أي: مَعْبُودِين.

وقولُ المُصَنِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ.)

هذه العِبَارَةُ تَبِعَ فيها المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ غيرَهُ من المُتَأَخِّرِيْنَ، **ولا أَصْلَ لها في كَلَامِ العَرَب**، وإنَّما هي اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ لأَهْلِ الكَلَامِ، ثُمَّ تَبِعَهُم غيرهم.

والعَالَمُ في لُغَةِ العَرَبِ: الصِّنْفُ مِن أَصْنَافِ الخَلَائِقِ، كعَالَمِ المَلَائِكَةِ، وعَالَمِ الجِنِّ، وعَالَمِ الإِنسِ، وعَالَمِ الطَّيْرِ ونحو ذلك، **فتَفْسِيْرُ العَالَمِيْنَ: أَصْنَافُ الخَلَائِقِ كما ذكر أبو حيان الأندلسي في تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب وغيره.**

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ) : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الليْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الليْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ سُؤَالا ثانيا وهو: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّك؟

ثم ذَكَرَ الجَوَابَ فقال: بآيَاتِهِ ومَخْلُوقَاتِه.

وآيَاتُ الله نَوعَان:

الأول: آياتٌ شَرْعِيَّةٌ وهي الوَحْيُ النَّازِلُ على الأنبياء.

والآخر: آياتٌ كَوْنِيَّةٌ وهي المخلوقات.

فمَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تكونُ بأمرين:

الأول: التَّدَبُّرُ في آياتِ اللهِ الشرعية.

قال الله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦] فتَدَبُّرُ آياتِ القُرْآن من أَعْظَمِ أسبابِ زِيادَةِ الإيمان.

والآخر: التفكر في آيات الله الكونية وهي المَخْلُوقَات.

وقد ذَكَرَ المُصَنِّفُ عددا من الآياتِ العَامَّةِ الكَوْنِيَّةِ التي يشترِكُ في مَعْرِفَتِهَا المسلمُ والكافرُ، والبَرُّ والفَاجِرُ، وهي الليلُ والنَّهارُ، والشَّمسُ والقَمرُ، والسَّماواتُ والأَرْضُ، فمَن تَفَكَّرَ فيها وتَأَمَّلَ ازْدَادَ إيمانا بالله وتعظيما له وإجلالا.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وقَد أَمَرَنَا اللهُ بذلكَ، ورَغَّبَنَا فيه في آياتٍ كثيرةٍ منها: قولُهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾

[الأعراف:١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

وقد جَمَعَ المُصَنِّفُ فيما ذَكَرَهُ بين الآياتِ الشَّرْعِيَّةِ والكَوْنِيَّةِ، فإنَّ الآيتين المذكورتين آياتٌ شرعية، والأمثلةُ المذكورةُ مِن الليلِ والنهارِ...إلخ آياتٌ كَوْنِيَّةٌ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالرَّبُ هُوَ المَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢] قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لهذه الأشياء هو المستحقُّ للعبادة.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: قولُ المُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالرَّبُ هُوَ المَعْبُودُ).

أي: هو المستحقُّ للعبادةِ كما تقدمَ بيانُهُ قريبا، وليسَ مِن مَعَانِي الرَّبِّ في اللغةِ المَعْبُودُ على الصَّحِيحِ مِن أقوالِ أهلِ العِلْم.

وهذا كما لو قُلْتَ: الخالقُ والرازقُ والكريمُ هو المَعْبُود.

ثم ذَكَرَ المُصَنِّفُ قولَ ابنِ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمعنى وهو أنَّ مَن خَلَقَ الخَلْقَ، وسَخَّرَ لهم النِّعَمَ هو المستحقُّ للعبادةِ، فكَيْفَ يُعْبَدُ غَيْرُهُ؟! وقال الله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢]، وقال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧].

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالتَّوَكُّلُ وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّهَا للهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَدَدًا مِن أنواعِ العباداتِ التي أَمَرَ اللهُ بها، فبَدَأَ **بمَرَاتِبِ الدِّينِ الثلاث** وهي: الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ. وسيأتي الكلامُ عنها في الأصل الثاني.

ثم ذَكَرَ أنَّ جميعَ العباداتِ حَقٌّ لله جل وعلا واستدلَّ بقولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وقد تقدمَ أنَّ المَسَاجِدَ فُسِّرَتْ بتفسيرين:

الأول: مواضعُ السجودِ. **والآخر:** أعضاءُ السجود.

وكلاهما يجب أن يكونَ لله، فالمساجد يجب أن تفرد لعبادة الله وحده، والأعضاءُ يجبُ أن يُسْجَدَ بها لله ولا يُسْجَد لغيره.

وقولُهُ: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ تقدم أنَّ المعنى: لا تعبدوا مع الله أحدًا لا مَلَكًا ولا نَبِيًّا ولا صَالِحًا ولا غير ذلك.

ثم ذكر المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ مَن صَرَفَ شيئا مِن العباداتِ لغيرِ الله، فقد أشركَ بالله، وصَارَ كَافِرًا، واستدلَّ بقولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] أي: ومَن يَعْبُدُ مع الله إلها آخر، فهو مُتَوَعَّدٌ بالحسابِ الشَّدِيدِ، وهو مِن الكافرين الخاسرين.

وقد تَقَدَّمَ أنَّ الدُّعَاءَ إذا أُطْلِقَ في خِطَابِ الشَّرْعِ، فالمرادُ به العبادة.

وقوله: ﴿ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صِفَةٌ كَاشِفَةٌ لَازِمَةٌ لِكُلِّ مَن عَبَدَ غيرَ الله.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفِي الْحَدِيثِ «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ابتدأ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيانِ أَدِلَّةِ العباداتِ التي سَرَدَهَا، وهذه العباداتُ عباداتٌ عظيمةٌ، والكلامُ عنها كثيرٌ، وبيانُ

أحوالِهَا وأحكامِهَا سَيَمُرُّ في غير هذه الرسالة، وإنَّمَا يكفي في هذه الرِّسَالَةِ مَعْرِفَةُ معنى العِبَادَةِ ودَلِيْلِهَا، فَسَأَقْتَصِرُ على ذلك، وقد ذَكَرَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ عِبَادَة:

أولها: الدُّعَاءُ

والدُّعَاءُ شَرْعًا له معنيان:

أحدهما: عَامٌّ وهو العبادة وتقدم أنها: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ. ذَكَرَهُ شيخُ الإسلامِ في رسالته "العُبُودية"، ويُسَمَّى دُعَاءَ العِبَادَة.

والآخرُ: خَاصٌّ وهو: طَلَبُ العَبْدِ مِن رَبِّهِ حُصُولَ ما يَنْفَعُهُ أو دَفْعَ ما يَضُرُّهُ. ويُسَمَّى دُعَاءَ المسألةِ، وهو المعْرُوفُ بالدُّعَاء.

مثالُهُ: اللهم اغْفِر لي، وارْحَمني، واهْدِنِي، وأَدْخِلْنِي الجنة، ونَجِّنِي من النار، واكْشِفْ ضُرِّي، واشْفِ مَرَضِي، وادْفَعْ عَنِّي الأعداء.

وقد تَرْجَمَ المُصَنِّفُ لعبادةِ الدعاءِ بحديثِ «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»؛ لبيانِ عِظَمِ شَأنِ الدُّعاءِ، وأنَّ الخَلَلَ فيه عَظِيمٌ، فأَصْلُ شِرْكِ العَالَمِ دُعَاءُ غيرِ الله، والحديثُ المذكورُ أخرجَهُ الترمذي(٣٣٧١) عن أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو

حديثٌ ضعيفٌ، ومعناهُ صحيحٌ، ويُغْنِي عنه حديثُ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثم قرأَ قولَهُ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] أخرجهُ أحمدُ(١٨٣٥٢) وأصحابُ السُّنَنِ، وإسنادُهُ صحيحٌ، وقد صَحَّحَهُ الألبانيُّ والوادعيُّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

وطَرِيْقَةُ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُم يَذْكُرُونَ الحَدِيْثَ الضَّعِيْفَ إذا صَحَّ مَعْنَاهُ ودَلَّتْ عليهِ الأَدِلَّة كما تَرَى ذلكَ ظَاهِرًا في كُتُبِهِم.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُٱللَّهُ: وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادة الثانية: الخَوْفُ وهو فِرَارُ القَلْبِ إلى اللهِ ذُعْرًا وفَزَعًا.

وقد جَعَلَهُ اللهُ في الآيةِ شَرْطًا لحُصُولِ الإيمان، فإذا زالَ الخوفُ مِن اللهِ في قَلْبِ العَبْدِ صَارَ العبدُ كَافِرًا.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودَلِيْلُ الرَّجَاءِ قولُهُ تَعَالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: **العبادة الثالثة: الرَّجَاءُ** وهو أَمَلُ العَبْدِ بِرَبِّهِ في حُصُولِ المَقْصُودِ مَعَ بَذْلِ الجُهْدِ وحُسْنِ التَّوَكُّل.

فالرَّجَاءُ لا بُدَّ فيه مِن بَذْلِ الجُهْدِ بأن يَعْبُدَ اللهَ، ويُسَارِعَ في طَاعَتِهِ، ويَرْجُوَ أن يَتَقَبَّلُ اللهُ منهُ، وأن يرضى عنه، إلى غير ذلك مما يَرْجُوهُ العبدُ، أَمَّا أن يكونَ العبدُ مُنْغَمِسًا في المعاصي والذُّنُوبِ، ولا تَحْصُلُ منه التَّوْبَةُ، ثُمَّ يقولُ: أَرْجُو أنَّ اللهَ يُدْخِلُنِي الفِرْدَوسَ الأَعْلَى، فهذه أَمَانِي المَفَالِيْس، وليسَ هذا بِرَجَاءٍ شَرْعًا.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودَلِيلُ التَّوَكُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: **العبادة الرابعة: التَّوَكُّلُ** وهو صِدْقُ اعْتِمَادِ القَلْبِ على اللهِ في جَلْبِ المَنَافِعِ ودَفْعِ المَضَارِّ.

وقد جعلَ اللهُ التَّوَكُّلَ شَرْطًا في صِحَّةِ الإيمانِ، فَمَن زَالَ مِن قَلْبِهِ التَّوَكُّلُ على اللهِ صَارَ كَافِرًا.

ولا بُدَّ في التَّوَكُّلِ مِن بَذْلِ الأسبابِ، فإنَّ تَرْكَ الأسبابِ قَدْحٌ في الشَّرِيْعَةِ، والاعْتِمَادَ على الأسبابِ شِرْكٌ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

[الأنبياء: ٩٠].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادةُ الخامسة: الرَّغْبَةُ وهي إِرَادَةُ مَرْضَاةِ اللهِ في الوُصُولِ إلى المَقْصُودِ مَحَبَّةً له ورَجَاءً.

والعبادةُ السادسة: الرَّهْبَةُ وهي فِرَارُ القَلْبِ إلى اللهِ ذُعْرًا وفَزَعًا مع عَمَلِ مَا يُرْضِيْهِ.

والعبادةُ السابعة: الخُشوعُ وهو فِرَارُ القَلْبِ إلى اللهِ ذُعْرًا وفَزَعًا مع الخُضُوعِ له.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾

[البقرة: ١٥٠].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادةُ الثامنة: الخَشْيَةُ وهي فِرَارُ القَلْبِ إلى اللهِ ذُعْرًا وفَزَعًا مَعَ العِلْمِ بِهِ وبِأَمْرِهِ.

ولهذا حَصَرَ اللهُ خَشْيَتَهُ في أهلِ العَلمِ فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

ولا يَخْفَى عَلَيْكَ الفرقُ بينَ الخَوفِ والرَّهْبَةِ والخُشُوعِ والخَشْيَةِ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر:٥٤] .

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادةُ التاسعة: الإِنَابَةُ وهي رُجُوعُ القَلْبِ إلى اللهِ مَحَبَّةً وخَوْفًا ورَجَاءً.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، **وفي الحَدِيْثِ: «إذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».**

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادةُ العاشرة: الاسْتِعَانَةُ وهي طَلَبُ العَوْنِ مِن اللهِ في الوُصُولِ إلى المَقْصُودِ.

والحديثُ المذكورُ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أخرجهُ الترمذي(٢٥١٦) وغيرُهُ، وهو حديثٌ صَحِيْحٌ صَحَّحَهُ الألبانيُّ وغيرُهُ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:١].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادةُ الحادية عَشْرَةَ: الاسْتِعَاذَةُ وهي: طَلَبُ العَوْذِ مِن اللهِ عندَ وُرُوْدِ المَخُوْفِ. والعَوْذُ دَفْعُ الشَّرِّ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادةُ الثانيةَ عَشْرَةَ: الاسْتِغَاثَةُ وهي طَلَبُ الغَوْثِ مِن اللهِ عندَ وُرُودِ الضَّرَرِ. والغَوْثُ هو المُسَاعَدَةُ في الشِّدَّةِ.

فالفَرْقُ بين الاسْتِعَاذَةِ والاسْتِغَاثَةِ أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ طَلَبُ دَفعِ الشَّرِّ قَبْلَ حُصُولِهِ عند وُجُودِ أَسْبَابِ الخَوفِ، وأمَّا الاسْتِغَاثَةُ فإنَّهَا طَلَبُ دَفعِ الشَّرِّ بَعْدَ حُصُولِهِ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودَلِيْلُ الذَّبْحِ قولُهُ تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادةُ الثالثةَ عَشْرَةَ: الذَّبْحُ وهو قَطْعُ الحُلْقُومِ والمَرِيْءِ مِن بَهِيْمَةِ الأَنْعَامِ تَقَرُّبًا إلى اللهِ على صِفَةٍ مَعْلُوْمَةٍ.

والنُّسُكُ في الآيةِ الذَّبْحُ، والحديثُ المذكورُ رواهُ مسلمٌ(١٩٧٨) عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: العبادةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: النَّذْرُ وهو إِلْزَامُ العَبْدِ نَفْسَهُ للهِ بِشَيْءٍ لا يَجِبُ عَلَيْهِ.

والدليلُ المذكورُ يَدُلُّ على أنَّ الوَفَاءَ بالنَّذْرِ عِبَادَةٌ؛ لأنَّ اللهَ أَثْنَى عليهم بذلك.

وأمَّا عَقْدُ النَّذْرِ فإنَّهُ كذلك عِبَادَةٌ -وإنْ كَانَ مَكْرُوهًا عند الجمهور- ويَدُلُّ على ذلك قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة:٢٧٠] أي: فسُيَجَازِيْكُم عليه، وهذا يَدُلُّ على كَوْنِهِ عِبَادَةً.

[الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ]

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأَصْلُ الثَّانِي:

مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ وَهُوَ الاسْتِسْلَامُ لله بِالتَّوْحِيْدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بالطَّاعَةِ، والبَرَاءَةُ والخُلُوصُ مِن الشِّرْكِ وأَهْلِهِ.

وهو ثَلَاثُ مَرَاتِب:

(الإسلامُ) و (الإيمانُ) و (الإحسانُ) ، وكُلُّ مَرْتَبَةٍ لها أَرْكَان.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: لما انتهى المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بيانِ الأصلِ الأولِ، وهو معرفةُ العَبْدِ رَبَّهُ. أَتْبَعَهُ ببيانِ الأصلِ الثاني، وهو معرفةُ دينِ الإسلام.

والإِسْلَامُ شَرْعًا له معنيان:

أحدهما: عَامٌّ وهو الاسْتِسْلَامُ لله بالتَّوحِيْدِ. وهو دِيْنُ جَمِيْعِ الأنبياء.

قال اللهُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وما ذَكَرَهُ المؤلفُ بقولِهِ: (والانْقِيَادُ لهُ بالطَّاعَةِ، والبَرَاءَةُ والخُلُوصُ مِن الشِّرْكِ وأَهْلِهِ) هو مِن تَمَامِ الإيضاحِ والبيانِ، وإلا فهو يَشْمَلُهُ الاسْتِسْلَامُ للهِ بالتَّوْحِيْدِ.

وقولُهُ: (**والبَرَاءَةُ والخُلُوصُ**) هكذا هو في النُّسَخِ الصحيحةِ، فإنه لا يكفي أن يَتَبَرَّأَ مِن المشركين، وهو وَاقِعٌ في الشِّرْكِ، ولا يكفي أيضا سَلَامَتُهُ مِن الشِّرْكِ، مع عدمِ براءَتِهِ مِن الكافرين، بل لا بد من اجتماع الأمرين.

والآخَرُ: خَاصٌّ وله معنيان:

الأول: الدِّيْنُ الذي بُعِثَ به نبينا محمد ﷺ.

ومنهُ حديثُ: عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» رواه البخاري(٨) ومسلم(١٦).

والآخر: الأعمالُ الظَّاهِرَةُ، وهذا إذا اقْتَرَنَ الإسلامُ بالإِيمانِ والإِحسانِ.

كما سيأتي في حديثِ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم ذَكَرَ أَنَّ مَرَاتِبَ الدِّيْنِ ثَلَاثٌ:

الأولى: الإسلام. **والثانية:** الإيمان. **والثالثة:** الإحسان. وسيأتي مزيدُ بيانٍ لها فيما يُسْتَقْبَلُ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إلا الله وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وإقامُ الصلاة وإيتاءُ الزكاة وصومُ رمضان وحجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، ومَعْنَاهَا لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ وحدَهُ، و (لا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ. وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ابْتَدَأَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيانِ المرتبةِ الأُوْلَى من مَرَاتِبِ الدِّيْنِ، وهي الإِسْلَام، فبَيَّنَ أركانَ الإسلامِ وأدلَّتَهَا وقد روى

البخاري(٨) ومسلم(١٦) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»

وذكر دليلَ شهادةِ ألا إله إلا الله وهو قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] فشَهِدَ اللهُ سبحانه على وَحْدَانِيَّتِهِ، وأَنَّهُ المستحقُّ للعبادةِ وَحْدَهُ، واسْتَشْهَدَ على ذلكَ الملائكةَ وأهلَ العِلْمِ.

وقد ذَكَرَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ في "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" عَشَرَةَ أَوْجُهٍ في فَضْلِ العِلْمِ مِن هذه الآية.

ثم ذَكَرَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إلا اللهُ) وأَنَّهُ (لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ)، وهي مسألةٌ عظيمةٌ ضَلَّ بِعَدَمِ فَهْمِهَا كثيرٌ مِن النَّاسِ، ففَسَّرُوْهَا بتَفْسِيْرَاتٍ خَاطِئَة.

وذَكَر أَرْكَانَ (لَا إِلَهَ إلا اللهُ) وهُمَا ركنان:

الأول: نَفْيٌ في قولِهِ: (لَا إِلَهَ)، وهو نَفْيٌ للعُبُودِيَّةِ الحَقَّةِ عن غيرِ الله.

والآخر: إِثْبَاتٌ في قولِهِ: (إِلَّا اللهُ) وهو إِثْبَاتٌ للعُبُودِيَّةِ الحَقَّةِ لله سبحانه.

والدَّلِيلُ على تَفْسِيْرِ كَلِمَةِ التوحيدِ قولُهُ تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، وقولُهُ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، ولهذا قالَ المشركون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، وأَبَوا أن يقولوا: (لا إله إلا الله) لِعِلْمِهِم أنَّ مَعْنَاهَا إِفْرَادُ اللهِ بالعبادةِ قال الله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

وقد ذكر **المُصَنِّفُ** آيتين في تَفْسِيْرِهَا الأولى: قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾، فقولُهُ: ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ فيه نَفْيُ العُبُودِيَّةِ الحَقَّةِ عن غير الله، ولهذا تَبَرَّأَ منهم. وقولُهُ: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فيه إِثْبَاتُ العُبُودِيَّةِ الحَقَّةِ لله سبحانه.

والآيةُ الثانيةُ هي: قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

والشَّاهِدُ منها قولُهُ: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ أي: نُفْرِدُ اللهَ بالعبادة.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]. وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عنه نَهَى وزَجَرَ، وأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: الأدلةُ على إثباتِ الرِّسَالةِ للنبي ﷺ كثيرةٌ، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾ [الفتح:٢٩].

والمعنى المَذْكُورُ لشهادةِ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ هو مِن مُقْتَضَاهَا ولَازِمِهَا وهو مَعْنًى صحيحٌ، ويَصِحُّ أن تقولَ في معناها: التَّصْدِيْقُ والإِقْرَارُ بأنَّ

محمدًا رسولُ الله فهو عَبْدٌ فلا يُعْبَدُ ورَسُولٌ فلا يُكَذَّبُ.

فتَحْقِيْقُ هذه الشَّهَادَةِ على وَجْهِ التَّمَامِ بالتزامِ طَرِيْقَةِ النبي ﷺ، بامتثالِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهِيهِ، وتصديقِ أخبارِهِ، فلا طريقَ للعِبَادِ تُوْصِلُهُم إلى اللهِ إلا طَرِيْقَ النبي ﷺ.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدليلَ على الصلاة والصيام والزكاة والحج، وهي أَدِلَّةٌ وَاضِحَةٌ.

وقولُهُ: (وتَفْسِيْرِ التَّوْحِيْدِ) كَرَّرَهُ هُنَا لِدَلَالَةِ الآيةِ عليه، وللعِنَايَةِ به، وإلا فقد تقدم بيانه.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ الإِيمَانُ: وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً. فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإيمان.**

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: لما انتهى المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ من بيانِ المرتبةِ الأولى مِن مَرَاتِبِ الدين وهي الإسلام، انتقلَ إلى المرتبةِ الثانيةِ وهي الإيمان، فبينَ أَنَّهُ شُعَبٌ مُتَعَدِّدَةٌ وبينَ أَرْكَانَهُ وأَدلَّتَهَا.

والإيمانُ شَرْعًا له معنيان:

أحدهما: عَامٌّ وهو الدِّيْنُ الذي بُعِثَ به محمدٌ ﷺ.

والآخر: خَاصٌّ وهو الاعْتِقَادَاتُ البَاطِنَةُ.

وذلكَ إذا اقْتَرَنَ الإيمانُ بالإسلامِ والإحسان.

وشُعَبُ الإيمانِ خِصَالُهُ وأَجْزَاؤُهُ مِن الاعْتِقَادَاتِ والأَقْوَالِ والأَفْعَال.

وفي صحيح مسلم(٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»

ورواه البخاري بلفظ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً» وهذا اللفظُ أَرْجَحُ وأَصَحُّ عند أهلِ العِلْمِ بالحديثِ كما ذَكَرَ البَيْهَقِيُّ في الشُّعَبِ (٢) والله أعلم.

وقد أَلَّفَ الحَلِيْمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابا سَمَّاهُ "المِنْهَاجُ في شُعَبِ الإيمان"، وأَلَّفَ البَيْهَقِيُّ كتابا سَمَّاهُ "شُعَبُ الإيمان".

فالإيمانُ قَوْلٌ وعَمَلٌ لا يَنْفَعُ أَحَدُهُمَا دونَ الآخر، والأدلةُ على أنَّ الأعمالَ مِن الإيمانِ كثيرةٌ متعددةٌ، ومنها الحديثُ السَّابِقُ، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣] أي: صَلَاتَكُم.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأركانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قولُهُ تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧].

ودَلِيلُ القَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أركانَ الإيمانِ السِّتَّةِ مع دليلها.

ومِن المسائِلِ المُهِمَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بأَرْكَانِ الإيمانِ السِّتَّةِ مَعْرِفَةُ المِقْدَارُ الذي لا يَصِحُّ الإيمانُ إلا به مما يَتَعَلَّقُ بأَرْكَانِ الإيمانِ السِّتَّةِ وهي من المسائل التي قَلَّ مَن بَيَّنَهَا مِن أهلِ العِلْمِ وبيانُ ذلك:

أولا: **الإيمانُ بالله** وهو الإيمانُ برُبُوْبِيَّةِ اللهِ وأُلُوهِيَّتِهِ وأَسْمائِهِ وصَفِاتِهِ.

والثاني: **الإيمانُ بالمَلَائِكَةِ** وهو الإيمانُ بأَنَّهُم مِن خَلْقِ اللهِ، وأنَّ مِنْهُم مَن يَنْزِلُ بالوَحْيِ بأَمْرِ اللهِ.

والثالثُ: الإيمانُ بالكُتُبِ وهو الإيمانُ بأنَّ اللهَ أَنْزَلَ كُتُباً على مَن شَاءَ مِن رُسُلِهِ، لِيُبَيِّنُوا للنَّاسِ شَرْعَ الله، وكُلُّها مَنْسُوخَةٌ بالقُرْآن.

والرابعُ: الإيمانُ بالرُّسُلِ وهو الإيمانُ بأنَّ اللهَ أَرْسَلَ إلى النَّاسِ رُسُلاً مِنْهُم، لِيَأْمُرُوهُم بعبادةِ الله، وأنَّ خَاتمَهُم **مُحَمَّدٌ** ﷺ.

والخامسُ: الإيمانُ باليَوْمِ الآخِرِ وهو الإيمانُ بالبَعْثِ يومَ القِيَامَةِ لُمجَازَاةِ الخَلْقِ، فَمَن أَحْسَنَ فله الجَنَّةُ، ومَن أَسَاءَ فهو مُتَوَعَّدٌ بالنَّارِ.

والسادسُ: الإيمانُ بالقَدَرِ وهو الإيمانُ بأنَّ اللهَ قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ مِن خَيْرٍ وشَرٍ أَزَلاً، ولا يَكُونُ شَيْءٌ إلا بِمَشِيْئَتِهِ وخَلْقِه.

وما زَادَ على ما تَقَدَّمَ فمنهُ ما يَجِبُ بعدَ العِلمِ بدَلِيْلِهِ كالعِلْمِ بأنَّ مِن أسماءِ اللهِ القَهَّارَ والبَرَّ والُمهَيْمِنَ، وأنَّ الملائكةَ خُلِقُوا مِن نُوْرٍ، ومنهُ ما لا يَجِبُ العِلْمُ به كمَعْرِفَةِ مَعَانِي الأسماءِ المتقدمةِ، ومَعْرِفَةِ هَل يَمُوتُ مَلَكُ المَوْتُ أَوَّ لَا؟.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: المرتبةُ الثالثةُ: الإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠] وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ المرتبةَ الثالثةَ مِن مَرَاتِبِ الدِّينِ وهي الإحسان.

والإحسانُ شَرْعًا له معنيان:

أحدهما: عَامٌّ وهو الدِّيْنُ الذي بُعِثَ به محمد ﷺ.

والآخر: خَاصٌّ وهو إِتْقَانُ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ والاعْتِقَادَاتِ البَاطِنَة.

وهذا إذا اقترن الإحسان بالإسلام والإيمان كما سيأتي في حديث جبريل.

وقولُهُ: (رُكْنٌ وَاحِدٌ) أي: شَيْءٌ وَاحِدٌ بَيَّنَهُ العَلَّامَةُ ابنُ قَاسِمٍ في حَاشِيَتِه. وذلكَ لأَنَّ الرُّكْنَ لا يكونُ إلا متعددا.

وللإحسانِ مَرْتَبَتَان:

الأولى: مَرْتَبَةُ المُشَاهَدَةِ وهي أنْ يَعْبُدَ العبدُ رَبَّهُ مُسْتَحْضِرَاً مُشَاهَدَتَهُ له.

وهذه المرتبةُ هي مَعْنَى قولِهِ: أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ.

والأخرى: مَرْتَبَةُ المُرَاقَبَةِ وهي أنْ يَعْبُدَ العَبْدُ رَبَّهُ مُسْتَحْضِرَاً اطِّلَاعَهُ عليه.

وهذه المرتبةُ هي مَعْنَى قولِهِ: فإنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فإِنَّهُ يرَاك.

ذكرهما الحافظُ ابنُ رَجَبٍ في فتحِ البَارِي.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرَائِيْلَ المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بينما نحنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ. فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلا اللهُ. وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ

السَّائِلِ». قَالَ: أخبرني عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ ﷺ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم».

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: هذا الحديثُ حديثٌ عظيمٌ، سَمَّاهُ بَعْضُ أهلِ العلم (أُمَّ السُّنَّةِ)؛ لأَنَّ جميعَ السُّنَّةِ تَعُودُ إلى هذا الحديثِ، وهو مِن أجمعِ الأحاديث، ولهذا قالَ النبيُّ ﷺ كما في آخر الحديث «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم».

ومما ذُكِرَ في هذا الحديثِ مَرَاتِبُ الدينِ الثلاث: الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ. مع بيانِ أَرْكَانِهَا فالإسلامُ أُرِيْدَ به الأعمالُ الظَّاهِرَةُ والإيمانُ أُرِيْدَ به الاعتقاداتُ البَاطِنَةُ والإحسانُ أُرِيْدَ به إِتْقَانُ الأعمالِ الظَّاهِرَةِ والاعتقاداتِ البَاطِنَةِ وذلكَ لاجتماعها أما إذا أُطْلِقَ أَحَدُهَا شَمَلَ الدِّيْنَ كُلَّهُ كما تقدم.

[الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ]

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّعْرِيفَ بِنَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ، وهو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ -واسمُهُ شَيْبَةُ الحَمْدِ- بْنِ هَاشِمٍ واسمُهُ عمرو، وسُمِّيَ هَاشِمًا؛ لأَنَّهُ كانَ يَهْشِمُ الثَّرِيْدَ لقَوْمِهِ في وَقْتِ المَجَاعَةِ والشِّدَّةِ.

وقد أَجْمَعَ العُلَمَاءُ على أنَّ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، ولا خِلَافَ أنَّ الخَلِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن ذُرِّيَّةِ سَامِ بنِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ،

وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» رواه مسلم(٢٢٧٦).

ومَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا مِقْدَارٌ وَاجِبٌ على كُلِّ مسلمٍ لا يَصِحُّ الإيمانُ إلا به وهو يَرْجِعُ إلى أربعةِ أُمُورٍ:

الأول: معرفةُ اسْمِهِ الأَوَّلِ مُحَمَّدٍ دونَ بَقِيَّةِ نَسَبِهِ.

فإنَّهُ إذا جَهِلَ اسْمَهُ جَهِلَ وَصْفَهُ.

والثاني: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورَسُوْلُهُ، وخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ.

والثالث: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ جَاءَنَا بالبَيِّنَاتِ والهُدَى ودِيْنِ الحَقِّ.

والرابع: مَعْرِفَةُ أنَّ الآيةَ العَظِيْمَةَ التي ثَبَتَتْ بها نُبُوَّتُهُ ورِسَالَتُهُ هي القُرْآن.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُوْلًا، نُبِّئَ بـ(اقْرَأْ)، وأُرْسِلَ بـ(المُدَّثِّر)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عُمْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وأَنَّهُ عَاشَ ثَلاثًا وسِتِّيْنَ سَنَةً، منها أَرْبَعُونَ قَبلَ النُّبُوَّةِ، وثَلَاثٌ وعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُوْلًا،

وفي صحيح البخاري(٣٨٥١) ومسلم (٢٣٥١-) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ﷺ» وبنحوه في البخاري(٣٥٤٧) مسلم(٢٣٤٧-) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وصَارَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَبِيًّا بعدَ أنْ أَنْزَلَ اللهُ عليه الخَمْسَ الآياتِ الأُوَل مِن سُوْرَةِ (اقْرَأ) كما في صحيح البخاري(٣) ومسلم(١٦٠) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديثٍ طَوِيلٍ وفيه: حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:١-٥].

ثم صَارَ النَّبِيُّ ﷺ رَسُولًا بعدَ أنْ أَنْزَلَ اللهُ عليهِ الخمسَ الآياتِ الأُوَلَ مِن سُوْرَةِ (المُدَّثِّر) كما في صحيح البخاري(٣٢٣٨) ومسلم(١٦١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسيأتي مَزِيْدُ بَيَانٍ لذلكَ إن شاء الله.

وأَحْسَنُ فَرْقٍ بينَ النَّبِيِّ والرَّسُولِ على ما حَرَّرَهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ في كِتَابِهِ "النُّبُوَّات" هو:

النَّبِيُّ هُوَ رَجُلٌ إِنْسِيٌّ حُرٌّ أُوْحِيَ إِلَيْهِ وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَى قَوْمٍ مُخَالِفِيْنَ.

والرَّسُولُ هُوَ رَجُلٌ إِنْسِيٌّ حُرٌّ أُوْحِيَ إِلَيْهِ وَبُعِثَ إِلَى قَوْمٍ مُخَالِفِيْنَ.

فَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ صَارَ نَبِيًّا لَمَّا أُنْزِلَتْ عليهِ الآياتُ الأُوَلُ مِن سُوْرَةِ (اقْرَأ)، ولم يُؤْمَرْ في ذلكَ الوَقْتِ بالجَهْرِ بالدَّعْوَةِ بالتَّوْحِيْدِ، والتَّحْذِيْرِ مِن الشِّرْكِ، وبَيَانِ بُطْلَانِهِ، وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ، ثُمَّ لَمَّا أُنْزِلَتْ عليهِ أَوَائِلُ سُوْرَةِ (المُدَّثِّر) صَارَ رَسُولًا وجَهَرَ بالدَّعْوَةِ ثُمَّ أُمِرَ بعدَ ذلكَ بقِتَالِ المشركينَ بعدَ هِجْرَتِهِ إلى المدينة.

قال المُصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ ويَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧]، وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إلى التوحيد. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ من الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وأَهْلِهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، وعَدَاوَتُهَا وأَهْلِهَا، وفِرَاقُهَا وأَهْلِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ اللهَ بَعَثَ النَّبِيَّ ﷺ بِالنِّذَارَةِ -بِكَسْرِ النُّونِ- عَنِ الشِّرْكِ، ويَدعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وهي دَعْوَةُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ قال اللهُ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة:٢١٣]، وقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام:٤٨-٤٩].

ثم ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَانِيَ الآياتِ الأُوَلِ مِن سُورَةِ (المُدَّثِّر).

وقولُهُ: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ: أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ من الشِّرْكِ) تَفْسِيرُ الثِّيَابِ بالأَعْمَالِ هو تَفْسِيرُ أَكْثَرِ السَّلَفِ كما ذَكَرَ ابنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في تَفْسِيرِهِ، وهو أَقْرَبُ إلى سِيَاقِ الآيَةِ، وقد ثَبَتَ عندَ ابنِ جَرِيْرٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قَالَ: مِنَ الْإِثْمِ. وقال قَتَادَةَ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ يَقُولُ: طَهِّرْهَا مِنَ الْمَعَاصِي، فَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي الرَّجُلَ إِذَا نَكَثَ وَلَمْ يَفِ بِعَهْدٍ أَنَّهُ دَنِسُ الثِّيَابِ، وَإِذَا وَفَى وَأَصْلَحَ قَالُوا: مُطَهَّرُ الثِّيَابِ.

وقولُهُ: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وأَهْلِهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، وعَدَاوَتُهَا وأَهْلِهَا، وفِرَاقُهَا وأَهْلِهَا.)

ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الجُمْلَةِ **أُصُولَ هَجْرِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، ومِثْلُهَا كُلُّ مَا يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ، وهي أَرْبَعَةٌ:**

الأول: تَرْكُهَا وتَرْكُ أَهْلِهَا.

والثاني: فِرَاقُهَا وفِرَاقُ أَهْلِهَا. وهذا قَدْرٌ زَائِدٌ على التَّرْكِ؛ لأنَّ المُفَارِقَ مُبَاعِدٌ.

والثالث: البَرَاءَةُ منها ومِن أَهْلِهَا.

والرابع: عَدَاوَتُهَا وعَدَاوَةُ أَهْلِهَا. وفيه زِيَادَةٌ على سَابِقِهِ بإِظْهَارِ العَدَاوَةِ؛ لأنَّ الْمُتَبَرِّئَ قد يُظْهِرُ العَدَاوَةَ وقد لا يُظْهِرُهَا.

وكثيرٌ مِن النُّسَخِ لم يُذْكَرْ فيها: **(وعَدَاوَتُهَا وأَهْلِهَا، وفِرَاقُهَا وأَهْلِهَا)** وهي ثَابِتَةٌ بِنُسَخٍ صَحِيْحَةٍ.

وتقدمَ في المسائلِ الثَّلَاثِ أَنَّهُ لا يَصِحُّ الإيمانُ إلا بالبَرَاءَةِ مِن الكافرين.

قال الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِيْنَ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَمَرَّ يَدْعُو إلى التَّوْحِيْدِ، ويُنْذِرُ عَن الشِّرْكِ عَشْرَ سِنِيْن، وذلك قبلَ أنْ تُفْرَضَ كثيرٌ مِن أحكامِ الشَّرِيْعَةِ، كالصَّلَاةِ، والزَّكَاةِ بأَنْصِبَتِهَا الْمُحَدَّدَةِ شَرْعًا، وصِيَامِ رَمَضَانَ، والحَجِّ، ولم يَكُنْ نَزَلَ تَحْرِيْمُ الخَمْرِ، ومُتْعَةِ النِّسَاءِ، والحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ وغيرِهَا، فكانت الدَّعْوَةُ إلى التَّوْحِيدِ ونَبْذِ الشِّرْكِ، ثم عُرِجَ به ﷺ

إلى السَّمَاءِ، وفُرِضَتْ عليهِ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، كما في حديثِ المِعْرَاجِ في البخاري(٣٢٠٧)(٣٤٩)(٧٥١٧) ومسلم(١٦٢-) عن مَالِكِ بنِ صَعْصَعَةَ وأَبِي ذَرٍّ وأَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَ سِنِينَ في مَكَّةَ، وتَحْدِيْدُ الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ قَالَهُ بَعْضُ المُؤَرِّخِينَ، وهو مُخْتَلَفٌ فيه، ولم يَثْبُتْ فيهِ شَيْءٌ مَرْفُوعٌ ولا مَوْقُوفٌ، وقد أَجْمَعُوا على أَنَّهُ قبلَ الهِجْرَةِ.

وقد رَوَى الجَوْزَقَانِيُّ في "الأَبَاطِيْلِ والمَنَاكِيْرِ والصِّحَاحِ والمَشَاهِيْرِ" (١/ ٢٦٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا قَالَا: «وُلِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ، يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ بُعِثَ، وَفِيهِ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ، وَفِيهِ هَاجَرَ، وَفِيهِ مَاتَ ﷺ» وإسناده صحيح.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبَعْدَهَا أُمِرَ بالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَالهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ، وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦].

قال البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَبَبُ نُزُولِ هذه الآيَةِ في المُسْلِمِيْنَ الذين في مِكَّةَ لم يُهَاجِرُوا نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مغربها»

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَسْأَلَةً عَظِيْمَةً، وهي مَسْأَلَةُ الهِجْرَةِ مِن بِلَادِ الكُفَّارِ إلى بِلَادِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ مِن الفَرَائِضِ العَظِيْمَةِ التي

قَصَّرَ فيها كثيرٌ من الناسِ، بل صَارَ كثيرٌ من الناسِ اليومَ يَذْهَبُونَ إلى بلادِ الكُفَّارِ، وصَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ، فقد رَوَى أبو داود(٤٢٥٢) بإسنادٍ صحيحٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ» وقد صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ بالهِجْرَةِ إلى المَدِيْنَةِ، **والهِجْرَةُ وَاجِبَةٌ بشَرْطَيْنِ اثْنَيْن:**

الأَوَّلُ: عَدَمُ القُدْرَةِ على إِظْهَارِ الدِّيْن.

والآخَرُ: القُدْرَةُ على الخُرُوجِ مِن بِلَادِ الكافرين.

والمرادُ بإِظْهَارِ الدِّيْنِ: إِعْلَانُ شَعَائِرِهِ، وإِبْطَالُ دِيْنِ الْمُشْرِكِيْن، ببيانِ ضَلَالِهِ والتَّصْرِيحِ بعَدَاوَتِهِ والبَرَاءَةِ منه، ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِن الأَئِمَّةِ منهم عبدُ اللطِيْفِ وإِسْحَاقُ ابْنَا عَبْدِ الرَّحْمَن بنِ حَسَن، وحَمَدُ بنُ عَتِيْقٍ، ومُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ آل الشيخ، وعبدُ الرَّحْمنِ بنُ سِعْدِي، وغيرهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعا.

وأمَّا إذا كانَ العبدُ قَادِرًا على إِظْهَارِ الدِّيْنِ، فالهِجْرَةُ في حَقِّهِ مُسْتَحَبَّةٌ، ولَيْسَتْ وَاجِبَةً.

وقد ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَدِلَّةً على وُجُوبِهَا، وذَمِّ مَن لم يُهَاجِر، وأنَّ اللهَ لم يَعْذِرْ إلا مَن عَجَزَ عنها.

فذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أَيْ: بِتَرْكِ الْهِجْرَةِ. ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أَيْ: لِمَ مَكَثْتُمْ هَاهُنَا وَتَرَكْتُمُ الْهِجْرَةَ؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ أَيْ: لَا نَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَا الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ. ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ فَتَوَعَّدَهُم بِهَذَا الوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ، واسْتَثْنَى مَن كَانَ عَاجِزًا حَقًّا عَن الهِجْرَةِ فقال: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ قَدَرُوا مَا عَرَفُوا يَسْلُكُونَ الطَّرِيقَ. ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ أَيْ: يَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ بِتَرْكِ الْهِجْرَةِ، وَعَسَى مِنَ اللهِ مُوجِبَةٌ. انظر: تفسير ابن كثير.

وقد رَوَى ابنُ أَبِي حَاتِمٍ بإسنادٍ صحيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِالإِسْلامِ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مَعَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ وَقُتِلَ بَعْضٌ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ:

كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلاءِ مُسْلِمَيْنَ وَأُكْرِهُوا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. وأخرجه البخاري(٤٥٩٦) بنحوه وفيه: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَلَامَ البَغَوِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمَعْنَى في سَبَبِ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾، ولم يَثْبُتْ سَبَبُ النُّزُولِ المَذْكُورِ، وأمَّا كَونُ الآيَةِ في المسلمينَ الذين لم يُهَاجِرُوا فهو تَفْسِيرٌ صَحِيْحٌ، قال ابنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِجْرَةِ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، إِلَى أَرْضِ اللهِ الْوَاسِعَةِ، حَيْثُ يُمْكِنُ إِقَامَةُ الدِّينِ، بِأَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ وَيَعْبُدُوهُ كَمَا أمرهم.ا.هـ

ثم ذكر الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ الهِجْرَةَ مِن بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإِسْلَامِ لم تَنْقَطِعْ، والدَّلِيلُ على ذلك حَدِيْثُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى

تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وهو حديثٌ صحيحٌ بشواهده، وقد صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بالمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلُ الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحجِّ، وَالأَذَانِ، وَالجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: تقدمَ بيانُ هذه الجُمْلَةِ بما أَغْنَى عَن إِعَادَتِه.

والأَقْرَبُ أنَّ ابْتِدَاءَ فَرْضِ الزَّكَاةِ في مَكَّةَ، وأمَّا تَقْدِيْرُ أَنْصِبَتِهَا، وبَيَانُ أَحْكَامِهَا، فَكَانَ في المدينة، وهو تَرْجِيْحُ الإمامِ العُثَيْمِيْن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الشَّرْحِ المُمْتِع"، لِعَدَدٍ مِن الأدلةِ منها قولُهُ تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت:٧]، وهي مَكِّيَّةٌ بالإِجْمَاعِ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَتُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ اللهُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنسِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الجُمَلِ مَسَائِلَ واضحاتٍ بأدلتها، فذَكَرَ وَفَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، وعُمُومَ الرِّسَالَةِ، وكَمَالَ الدِّيْنِ، وفي صحيح مسلم(١٨٤٤) عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧-١٨] وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ولله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١]، وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسألةً عظيمةً، وهي مسألةُ البَعْثِ بعدَ المَوْتِ، والبَعْثُ شَرْعًا: قِيَامُ الخَلْقِ إذا أُعِيْدَت الأَرْوَاحُ إلى الأَبْدَانِ بعدَ نَفْخَةِ الصُّوْرِ الثَّانِيَةِ.

(وَمَعَادُ الْأَبْدَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) قَالَهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤) وقد قال الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]، وأنكرَ ذلكَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ،

وكَفَّرَهُم اللهُ بذلكَ، وقد أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أنْ يُقْسِمَ به على تَوْكِيْدِ البَعْثِ بعدَ الموت كما في الآية المذكورة، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ:٣]، وقال: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣].

ثم يُحَاسَبُ النَّاسُ على أَعْمَالِهِم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وفي الحَدِيْثِ القُدُسِي -الذي هو كَلَامُ اللهِ لَفْظًا ومَعْنًى عندَ أهلِ السُّنَّةِ- قال الله: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رواه مسلم(٢٥٧٧) عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ فيما يَرْوِي عن رَبِّهِ تبارك وتعالى.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، والدَّلِيْلُ قولُهُ تعَالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ نُوحَاً أَوَّلُ الرُّسُل قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:١٦٣].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ دَعْوَتُهُم قائمةٌ على البِشَارَةِ والنِّذَارَةِ، وقد تَقَدَّمَ بيانُ ذلك.

ثم ذَكَرَ أنَّ أَوَّلَ الرُّسُلِ نُوْحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذَكَرَ الدَّلِيْلَ على ذلكَ، وأَصْرَحُ منه قولُ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما في حديثِ الشَّفَاعَةِ: «ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ» رواه البخاري(٤٤٧٦) ومسلم(١٩٣) عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمَّا أَوَّلُ الأَنبياءِ فإنَّهُ آدمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذَكَرَ أنَّ خاتَمَ الأنبياءِ والرُّسُلِ هو نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ، والأدلةُ على ذلكَ كثيرةٌ، فَمَن ادَّعَى النُّبُوَّةَ بعدَ النَّبِيِّ ﷺ، أو صَدَّقَ مَن ادَّعَاهَا، فهو كَافِرٌ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِم رَسُوْلاً مِن نُوحٍ إلى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.ا.هـ

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ. وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» وَاللهُ أَعْلَمُ وصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خِتَامِ هذهِ الرِّسَالَةِ أنَّ دَعْوَةَ جميعِ الرُّسُلِ إلى التَّوْحِيْدِ، والتَّحْذِيرِ مِن الشِّرْكِ وعِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وقد كَرَّرَ هذا المعنى في الرِّسَالَةِ لعَظِيْمِ أَهَمِّيَّتِهِ، وتقدمَ بيانُ الأدلةِ على ذلكَ، ومنها ما ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ.

وذَكَرَ أنَّ مِن الواجباتِ العَظِيْمَةِ الكُفْرَ بالطَّاغوتِ، **وصِفَةُ الكُفْرِ بالطَّاغوتِ ذَكَرَهَا الْمُصَنِّفُ في رِسَالَتِهِ "مَعْنَى الطَّاغُوتِ" فقال**: فأمَّا صِفَةُ الكُفْرِ بالطَّاغُوتِ فهو أَنْ تَعْتَقِدَ بُطْلَانَ عِبَادَةِ غيرِ اللهِ وتَتْرُكَهَا وتُبْغِضَهَا وتُكَفِّرَ أَهْلَهَا وتُعَادِيَهُم.ا.هـ وقد تقدمَ معناهُ في أُصُولِ هَجْرِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ.

ثم ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ **ضَابِطَ الطَّاغُوتِ ومَعْنَاهُ مِن كَلَامِ ابنِ القيمِ في إعلامِ الموقعين(٢/ ٩٢)ت مشهور، وهو أَحْسَنُ مَعْنى للطَّاغُوتِ** فقال: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.

فالطَّواغِيْتُ ثَلَاثَةٌ: طَاغُوتُ عِبَادَةٍ وطَاغُوتُ اتِّبَاعٍ وطَاغُوتُ طَاعَةٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رُؤُوْسَ الطَّواغيتِ فذَكَرَ أَوَّلَهم: **رَأْسُ الشَّرِّ إِبْلِيْسُ لَعَنَهُ اللهُ**، والله يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ. عَلَّقَهُ البخاريُّ ووَصَلَهُ ابنُ جَرِيرٍ وغيرُهُ بإسنادٍ حسن.

وثانيهم: مَن عُبِدَ وهو رَاضٍ، ولَو لَم يَدْعُ إلى عِبَادَتِهِ، وقد قال الله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠٢] فاسْتَثْنَى اللهُ جل وعلا مَن سَبَقَتْ لهم الحُسْنَى ممن عُبِدُوا مِن الأنبياءِ والصالحينَ، ولَيْسُوا رَاضِيْنَ بذلك.

وثالثهم: مَن دَعَا النَّاسَ إلى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، ولو لم يُعْبَد فإنَّهُ طَاغُوتٌ.

قال الله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩].

ورابعهم: مَن ادَّعَى شَيْئًا مِن عِلْمِ الغَيْبِ.

لأَنَّ عِلْمَ الغَيْبِ يَخْتَصُّ بالله سبحانه كما قال الله: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]،وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

وخامسهم: مَن حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله.

وذلكَ لأَنَّهُ جَاوَزَ حَدَّهُ قال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠]، **وَوَصْفُ الحَاكِمِ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ بالطَّاغُوْتِيَّةِ لا يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ كَافِرًا كُفْرًا أَكْبَرَ** كَمَا نَبَّهَ على هذا عَدَدٌ مِن أهلِ العِلْمِ منهم الإمامُ ابنُ بَازٍ في شَرْحِهِ، والعلامةُ عبدُ الرَّحمنِ البَرَّاك في شَرْحِهِ أيضا وغيرُهُم فَتَنَبَّه فإنَّ الطَّاغُوتَ نوعان: أكبر وأصغر.

ثم خَتَمَ المُصَنِّفُ رِسَالَتَهُ بحديثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجهُ أحمد(٢٢٠١٦) والترمذي(٢٦١٦)، وهو حديثٌ صحيحٌ، وقد صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره.

وبهذا ولله الحمدُ يَتِمُّ التَّعْلِيْقُ على هذه الرِّسَالَةِ النَّافِعَةِ، أَسْأَلُ اللهَ أنْ ينفعَ بهذا الشَّرْحِ، وأنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ، والحمدُ لله رَبِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم، سُبْحَانَكَ اللهم وبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوْبُ إِلَيْكَ. وكانَ الانتهاءُ منهُ لَيْلَةَ الأَحَدِ السَّابع والعِشْرِيْنَ مِن شَوَّالٍ لعَامِ ثَلاثَةٍ وأَرْبَعِيْنَ وأَرْبَعِمِائَةٍ وأَلْفٍ.

فهرس المحتويات

الشرح الميسر

على القواعد الأربع

تأليف

أبي عبد الرحمن عمرو بن محمد بن علي الفضلي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

[مقدمة شرح القواعد الأربع]

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه الصَّادقُ الأمينُ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فهذا شرحٌ مُخْتَصَرٌ للقواعدِ الأربع لشيخِ الإسلامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، حَرِصْتُ على إِيْضَاحِه وتَقْرِيْبِه؛ ليكونَ عَوْنًا على فَهْمِ هذا الكتابِ الذي صَغُرَ حَجْمُهُ، وقَلَّتْ أَلْفَاظُهُ، وعَظُمَ قَدْرُه، واشْتَدَّ نَفْعُه، ألحقتُهُ بشرحِ ثلاثة الأصول تلبيةً لطلبِ كثيرٍ مِن الإخوان، أسأل الله أن يجعلَه خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، والحمدُ لله رَبّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[التَّعْرِيفُ بالقَوَاعِدِ الأَرْبَع]

هذه القواعدُ جَمَعَهَا ولَخَّصَهَا شيخُ الإسلام محمدُ بنُ عبدِ الوهاب ﷺ لما رأى انتشارَ الشِّركِ ودُعَاتِه، وانتشارَ الشُّبُهاتِ الوَاهِيَةِ، والتأويلاتِ الباطلةِ التي تدفَعُ الناس إلى الوُقُوعِ في الشرك، وعبادةِ غيرِ الله، والاستغاثةِ بهم، والذَّبحِ لهم، وصَرْفِ العبادات لهم من دون الله، بدعوى أنَّ هذه الأفعالَ من محبةِ الصالحين وتعظيمِهِم، وأنَّهَا ليست بشِرْك!، وأنَّ الشِّركَ يَخْتَصُّ بعبادةِ الأصنام، وأنَّهُم مُقَصِّرُون وعندهم مَعَاصٍ، فلهذا لا يعبدون الله ويدعونه مُبَاشَرَةً، وإنَّمَا يتخذونَ وَسَائِطَ يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله، ويُقَرِّبُوهُم إلى الله، ويقولون: كيف تُسَوُّون بين من يقول: لا إله إلا الله. وبين المشركين الأوائل؟!!، وكيف تُكَفِّرُون مَن قال: لا إله إلا الله؟!! والعَجِيبُ أنَّ هذا هو حال المشركين الأوائل!! كما بَيَّنَهُ اللهُ بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا وَاضِحًا يفهَمُه أبلدُ العَوَام، وهو ما اشتملت عليه هذه الرسالة المختصرة، **فَمَن ضَبَطَهَا وَأَتْقَنَهَا لا يَحْصُلُ عنده تَرَدُّدٌ في الحُكْمِ على عُبَّادِ القُبُور وأمثالِهِم أنَّهُم مُشْرِكُون**، ولو قالوا: لا إله إلا الله في اليوم ألف مرة!!، فإنها لا تنفعُ قائِلَهَا حتى يعلمَ مَعْنَاهَا ويعتَقِدَهُ ويعملَ بمُقْتَضَاه، **فمَقْصُودُ هذه**

الرِّسَالة: بيانُ حَقِيقةِ دِينِ الأنبياءِ والمرسلين وحقيقةِ دينِ الكُفَّار والمشركين.

[مُقَدِّمَةُ القَوَاعِدِ الأَرْبَع]

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِيْنُ أسأَلُ اللهَ الكريمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أن يَتَوَلَّاكَ في الدُّنيا والآخِرَة، وأن يَجْعَلَك مُبَارَكًا أينما كُنْت، وأن يَجْعَلَك مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ، وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فإنَّ هؤلاء الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادة.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ابتدأ المصنفُ رِسَالتهُ بالبَسْمَلَةِ، وهي مِن آدابِ التصنيفِ اتِّفاقًا، ومعنى (بسم الله) أستعينُ بالله وأطلبُ منه البَرَكَةَ مُتَوَسِّلًا بجميعِ أسماءِ الله.

ثم قال: (وَبِهِ نَسْتَعِينُ) أي: نطلبُ مِن اللهِ العَوْنَ ولا نَطْلُبُهُ مِن غيرِه فيما لا يَقْدِرُ عليه سِوَاه، كما قال الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

ثُمَّ دَعَا لطالبِ العِلْم ولمن يقرأُ هذه الرِّسَالَةَ بدُعَاءِ عَظِيمِ النَّفْعِ، وهو يَدُلُّ على رَحْمَتِه وشَفَقَتِه بطَالِبِ العِلْم ومَحَبَّتِه الخيرَ للمُسْلِمين، وقد اشتملَ دُعَاؤُهُ على ثَلَاثِ جُمَل:

الأولى: (أسألُ اللهَ الكريمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أن يَتَوَلَّاكَ في الدُّنيا

والآخِرَة) الوَلاية بفتح الواو المحبةُ والنُّصْرَةُ، وأما الوِلاية بكسر الواو فهي الإِمَارَةُ، والمقصودُ بهذا الدُّعَاء المعنى الأول بأن يَتَوَلَّى اللهُ العَبدَ، فإن كانَ اللهُ وَلِيَّهُ فليُبْشِرْ بِكُلِّ خَيْرٍ في الدُّنْيا والآخِرَة، فمَن كانَ اللهُ وَلِيَّهُ حَفِظَهُ وأَعَانَهُ، ونَصَرَهُ وكَلأَهُ، وهَدَاهُ ورَزَقَهُ، وكَفَاهُ وأَمَدَّهُ، وعَادَى مَن يُعَادِيْهِم، وآذَنَهُم بالحَرْبِ كما قال اللهُ في الحديث القُدُسِي «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ» رواه البخاري(٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان مِن الدُّعَاء العظيمِ الذي عَلَّمَهُ النبيُّ ﷺ للحسنِ بنِ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في دُعَاءِ القُنُوتِ المشهور: «اللَّهُمَّ تَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ» رواه أحمد وأصحاب السنن بإسناد صحيح.

والثانية: (وأن يجعلَكَ مُبَارَكًا أينما كُنْت) البَرَكَةُ ثُبُوتُ الخيرِ الإِلَهِي في الشَّيْءِ وزِيَادَتُه ونَمَاؤُهُ، واللهُ هو المُبَارِكُ بكسرِ الرَّاء، والعَبْدُ هو المُبَارَكُ بفتحِ الرَّاء، أي: مَن جَعَلَ اللهُ فيه البَرَكَةَ، كما قال اللهُ عن عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]، فإن جَعَلَ اللهُ العَبْدَ مُبَارَكًا يَسَّرَهُ لليُسْرَى، وجَنَّبَهُ العُسْرَى، وأَعَانَهُ على الخيرِ، وجَنَّبَهُ الشَّرَّ والضَّيْرَ جعلنا اللهُ منهم بمَنِّهِ وكَرَمِه.

والثالثة: (وأن يجعلك مِمَّن إذا أُعْطِي شَكَرَ وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ وإذا أَذْنَبَ

استغفر) وبين عِظَمَ هذه الدَّعْوَة بقولِهِ: **(فإنَّ هؤلاء الثلاثَ عُنْوانُ السعادة)** وذلك أنَّ العبدَ لا يَنْفَكُّ عن هذه الأحوالِ الثلاث، وأَصْلُ هذا الكلامِ وهذه الدَّعواتِ مِن كَلَامِ ابنِ القيم في أَوَّلِ الوَابِلِ الصَّيْبِ حيثُ قال: اللهُ سبحانه وتعالى المسؤولُ المَرْجُو الإجابة أن يَتَوَلَّاكُم في الدُّنيا والآخِرة، وأن يُسْبِغَ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً، وأن يجعلَكُم مِمَّن إذا أُنْعِمَ عليه شَكَرَ، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَر. فإنَّ هذه الأمورَ الثلاثةَ عُنْوانُ سَعَادَةِ العَبْدِ، وعَلَامَةُ فَلَاحِهِ في دُنْيَاهُ وأُخْرَاهُ، ولا يَنْفَكُّ عَبْدٌ عنها أبدًا. فإنَّ **العَبْدَ دَائِمُ التَّقَلُّبِ بين هذه الأَطْبَاقِ الثلاث:**

الأول: نِعَمٌ مِن اللهِ تعالى تَتَرَادَفُ عليه، فقَيْدُهَا الشُّكْر.

الثاني: مِحَنٌ مِن الله تعالى يَبْتَلِيْهِ بها، ففَرْضُهُ فيها الصَّبْرُ والتَّسَلِّي.

ثم ذَكَرَ **الثالثَ**: وهو أنَّ العبدَ لا بُدَّ مِن أن يَقَعَ في الذَّنْبِ مهما احترزَ منه (لأَنَّ العبدَ قد بُلِيَ بالغَفْلَةِ والشَّهْوَةِ والغَضَبِ، ودُخُولُ الشَّيْطَانِ على العبدِ مِن هذه الأبوابِ الثلاثةِ ولو احْتَرَزَ العبد ما احْتَرَزَ، فلا بُدَّ له مِن غَفْلَةٍ ولا بُدَّ له مِن شَهْوَةٍ ولا بُدَّ له مِن غَضَبٍ، فإذا أرادَ اللهُ بعَبْدِه خيرًا فَتَحَ له مِن أبوابِ التَّوْبَةِ والنَّدَمِ والانْكِسَارِ والذُّلِّ والافْتِقَارِ والاسْتِعَانَةِ به وصِدْقِ اللَّجَأِ إليه ودَوَامِ التَّضَرُّعِ والدُّعَاءِ والتَّقَرُّبِ إليه بما أَمْكَنَ مِن

الحسناتِ ما تَكُونُ تلكَ السَّيِّئة به رَحْمَتُه، حتى يقولَ عَدُوُّ الله: يا ليتني تَرَكْتُهُ ولم أُوْقِعْهُ).

قال المُصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِه- أنَّ الحَنِيْفِيَّةَ مِلَّةَ إبراهيمَ: أن تعبدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا له الدِّين، وبذلك أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وخَلَقَهُم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: قولُهُ: (اعْلَمْ) أي: تَعَلَّمْ وافْهَم مَا يُلْقَى إليكَ مِن العِلم، وهي كَلِمَةٌ يُؤْتَى بها للتَّنْبِيْهِ على أَهَمِّيَّةِ ما سَيُذْكَرُ بعدَ ذلك.

قولُهُ: (أَرْشَدَكَ اللهُ لطَاعَتِهِ) أي: هَدَاكَ ووَفَّقَكَ إلى ما يَنْفَعُكَ في دُنْيَاك وآخِرَتِك.

وقولُهُ: (أنَّ الْحنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) الحَنِيْفُ هو: المُقْبِلُ على الله المُعْرِضُ عن كُلِّ ما سِوَاه. فالحنيفيةُ عبادةُ الله وَحْدَهُ مُخْلِصًا له الدين.

وأضافَ المُصَنِّفُ الحنيفيةَ إلى إبراهيمَ مع كَونِهَا دينَ جميعِ الأنبياء اتِّبَاعًا لكتابِ الله قال الله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].

ثم ذَكَرَ المُصَنِّفُ الدليلَ على أنَّ كُلَّ النَّاسِ مأمورونَ بعبادةِ الله، وهو قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] فما خَلَقَنَا اللهُ لأَجْلِهِ، فنحنُ مأمورونَ به، وهذا معلومٌ من الدين بالضَّرُورَة.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا عَرَفْتَ أنَّ اللهَ خَلَقَكَ لعِبادَتِه، فاعلم أنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إلا مع التَّوْحِيْدِ، كما أنَّ الصَّلَاةَ لا تُسَمَّى صَلَاةً إلا مع الطَّهَارَةِ، فإذا دَخَلَ الشِّركُ في العبادةِ فَسَدَت، كالحَدَثِ إذا دخل في الطَّهَارَةِ. فإذا عَرَفْتَ أنَّ الشِّرْكَ إذا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وأَحْبَطَ العَمَلَ، وصَارَ صَاحِبُهُ مِن الخالدين في النَّارِ = عَرَفْتَ أنَّ أَهَمَّ ما عليك مَعْرِفَةُ ذلك لَعَلَّ اللهَ أن يُخَلِّصَك مِن هذه الشَّبَكَةِ، وهي الشِّرْكُ بالله الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، وذلك بمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تعالى في كِتَابِه.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المصنفُ ﷺ في هذه الجُمْلَةِ عِظَمَ شَأْنِ التَّوْحِيدِ، وأنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً صَحِيْحَةً إلا مع التَّوْحِيدِ الذي هو الأَسَاسُ لِصِحَّةِ الأَعْمَالِ، كما أنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلَاةً صَحِيْحَةً إلا مع وُجُود الطَّهَارة.

ثم بَيَّنَ خطَرَ ضِدِّ التَّوْحِيدِ وهو الشِّركُ باللهِ، فبَيَّنَ أنَّهُ يُفْسِدُ الأَعْمَالَ،

ويُحْبِطُهَا، وأنَّ صَاحِبَهُ مِن الخَالِدِينَ في النَّار، وأنَّ الشِّرْكَ لا يَغْفِرُهُ اللهُ إلا بالتَّوْبَةِ بخلافِ غيرِه مِن الذُّنُوبِ فإنَّهَا تحتَ مَشِيْئَةِ اللهِ إن شَاءَ غَفَرَ وإن شَاءَ عَاقَبَ عليها، كما قال الله: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وفي صحيح مسلم(٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " قَالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ".

فإذا عَرَفَ العبدُ أنَّ الشِّرْكَ بهذا الخَطَرِ العَظِيْمِ حَرِصَ على أن يَعْرِفَ حقيقةَ التَّوْحِيد وحَقِيْقَةَ الشِّرْك، وَدَعَا اللهَ مِرَارًا وتَكْرَارًا أن يُجَنِّبَهُ الوُقُوعَ فيه، وإذا كان إبراهيمُ خليلُ رَبِّ العالمين وأبو الأنبياء الذي رُمِيَ في النار وكَسَّرَ الأصنامَ خَافَ على نَفْسِهِ مِن الوُقُوعِ في الشِّرْكِ فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، قال إبراهيمُ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَمَن يَأْمَنُ

البَلَاءَ بعد إبراهيم. ونَبِيُّنَا محمدٌ ﷺ الذي هو خيرُ خَلْقِ الله وأَكْمَلُ النَّاسِ توحيدًا كان يستعيذُ بالله مِن الشِّركِ ويخافُ على نَفْسِه منه، فكيفَ بغيرِه.

ومِمَّا يُعِيْنُ على مَعْرِفَةِ حَقِيْقَةِ التَّوْحِيدِ وحَقِيْقةِ دِينِ الأنبياء والمرسلين، ومعرفةِ حقيقةِ الشِّرْكِ وحَقِيْقةِ دِينِ الكُفَّار والمشركين هذه القواعدُ الأربعُ التي سيأتي بيانها إن شاء الله.

[القَاعِدَةُ الأُولَى]

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القَاعِدَةُ الأُولَى: أن تَعْلَمَ أنَّ الكُفَّارَ الذين قَاتَلَهُم رسولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ هو الخالقُ المُدَبِّرُ، وأنَّ ذلك لم يُدْخِلْهُم في الإسلامِ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القاعدةَ الأُولَى مِن القَوَاعِدِ الأَرْبَعِ وهي: أنَّ الكُفَّارَ كانوا يُقِرُّونَ بتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ في الجُمْلَةِ ولم يُدْخِلْهُم ذلك في الإسلام.

فيُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ هو الخالقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ المالكُ المُحْيِي المُمِيْتُ وغيرُ ذلك، وأدلةُ ذلك كثيرةٌ منها قولُهُ تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١]، وقولُهُ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٦٣]، وقولُهُ: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، وقَولُهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، أي: يُؤْمِنُونَ بالرُّبُوبِيَّةِ ويُشْرِكُونَ في الأُلُوهِيَّةِ والعِبَادَة.

فَمَن أَقَرَّ اليومَ بأنَّ اللهَ هو الخالقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، ثم عَبَدَ غَيْرَ اللهِ وَدَعَا غيرَ اللهِ أو ذَبَحَ أو سَجَدَ أو رَكَعَ أو نَذَرَ لغيرِ الله فهو مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وهو حَالُ المشركين الأوائل.

فإن قال قائل: ما دَامَ المشركون يُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ هو الخالقُ الرازقُ المدبرُ فلماذا عَبَدُوا غيرَه؟

فالجواب: هو ما سيأتي بَيَانُهُ في القاعدة الثانية.

[القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ]

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القاعدةُ الثانيةُ: أَنَّهُم يقولون: مَا دَعَوْنَاهُم وتَوَجَّهْنَا إليهم إلا لطَلَبِ القُرْبَةِ والشَّفَاعَةِ. فدليلُ القُرْبَةِ قولُهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]، ودليلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس:١٨].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المصنفُ ﵀ القاعدةَ الثَّانِيَةَ مِن القواعدِ الأربعِ وهي: أنَّ المشركينَ كانُوا يقولون: ما دَعونَا الأَوْلِياءَ وتَوَجَّهْنَا إليهم إلا لِأَمْرٍ وَاحِدٍ فقط وهو أن يَشْفَعُوا لنا عند الله ويُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى.

فمَقْصُودُ المشركينَ مِن عِبَادَةِ غيرِ الله هو: حُصُولُ القُرْبَى والشَّفَاعَةِ، وسَبَبُ ذلك: أنَّ الشَّيْطَانَ قَذَفَ في قُلُوبِهِم أَنَّكُم عندكم مَعَاصٍ وتَقْصِيْر، والأولياءُ لهم جَاهٌ وَمَكَانَةٌ عند الله، فلو دَعَوتُمُ اللهَ مُبَاشَرَةً فلن يَسْتَجِيبَ لكم، ولكن ادعو هؤلاء الصالحين، وهم يَشْفَعونَ لكم عند الله، ويُقَرِّبُونَكُم مِن الله، فَوَقَعَ في قُلُوبِهِم تَشْبِيْهُ الخالقِ الكريمِ القَرِيبِ المُجِيْبِ

بالمُلُوكِ والسَّلَاطِينِ؛ فإنَّ مَن أرادَ شَيْئًا مِن مَلِكٍ مِن المُلُوكِ ففي الغَالِبِ يَحْرِصُ على اتِّخَاذِ وَسِيطٍ وشَفِيعٍ مِمَّن له مَكَانَةٌ عند الملكِ ليَقْبَلَ شَفَاعَتَهُ رَغْبَةً أو رَهْبَةً، وهذه هي شُبْهَةُ المشركين إلى اليوم، وغَفِلُوا عن قولِ الله جَلَّ وعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقَولِهِ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، وقَولِهِ: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، فلا يحتاجُ العبدُ إلى وَسِيطٍ وشَفِيعٍ، وإنَّما يدعُو رَبَّهُ مُبَاشَرَةً.

وقد أخبرَ اللهُ جل وعلا أنَّ فِعْلَهُم مِن اتِّخَاذِ الوَسَائِطِ والشُّفَعَاءِ ليُقَرِّبُوهُم إلى الله ويَشْفَعُوا لهم عند الله كُفْرٌ وشِرْكٌ، وأنَّهُم كاذبونَ في زَعْمِهِم، فقال في آية الزُّمَر: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ كَاذِبٌ في دَعْوَاهُ كَافِرٌ في فِعْلِه ذلك، وقال في آية يُونُس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ

شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فبَيَّنَ أنَّ فِعْلَهُم شركٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسَوَاء سُمِّيَ فِعْلُهُم هذا عِبَادَةً للأولياء أو سُمِّي مَحَبَّةً وتَعْظِيمًا لهم، فالحُكْمُ وَاحِدٌ فإنَّ الأسماءَ لا تُغيِّرُ الحَقَائِقَ، والعِبْرَةُ بالحَقَائِقِ والمَعَانِي لا بالأَلْفَاظِ والمَبَانِي.

فإن قال قائل: أنتم تُنْكِرُونَ شَفَاعَةَ النبيِّ ﷺ وغيرِه مِن الأنبياء والمرسلين لأنَّكُم لا تَدْعُونَهُم وتَسْتَغِيْثُونَ بهم ولا تَطْلُبُونَ منهم الشَّفَاعَة؟

فالجواب: أنَّ الشَّفَاعَةَ شَفَاعَتَان: مُثْبَتَةٌ ومَنْفِيَّةٌ، ومَن طَلَبَ الشَّفَاعَةَ منهم بعد مَوْتِهِم فقد حَرَمَ نَفْسَهُ الشَّفَاعَةَ؛ لأنَّهُ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، وهو ما بَيَّنَهُ المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك.

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ وشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فالشَّفَاعَةُ المَنْفِيَّةُ: مَا كانت تُطْلَبُ مِن غيرِ الله فيما لا يَقْدِرُ عليه إلا اللهُ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]. والشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ هي الَّتِي تُطْلَبُ مِن الله، والشَّافِعُ مُكْرَمٌ بالشَّفَاعَةِ، والمَشْفُوعُ له مَن رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وعَمَلَهُ بعد الإِذْنِ، كما قال

تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المصنفُ ﷬ الشَّفَاعَةَ، وهي في كُتُبِ **الاعتقادِ**: التَّوَسُّطُ للغَيْرِ عند الله بجَلْبِ مَنْفَعَةٍ أو دَفْعِ مَضَرَّةٍ.

وذَكَرَ أنَّ **الشَّفَاعَةَ نوعان**: **الأول**: شَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ وهي الشَّفَاعَةُ الْمُقْتَرِنَةُ بإِذْنِ اللهِ ورِضَاهُ. **فلها شرطان**: **الأول**: إِذْنُ اللهِ للشَّافِعِ.

والآخر: رِضَاهُ عن الشَّافِعِ والمَشْفُوعِ له.

وأدلةُ ذلك متعددةٌ منها قولُهُ تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقولُهُ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:٢٦]، وقولُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].

والشَّفَاعَةُ مِلْكُ لله جل وعلا كما قال الله: ﴿قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٤]، فما دامت مُلْكًا لله فلا تُطْلَبُ مِن غيرِ الله مِن الأمواتِ والغَائِبِينَ، فلا يُقَالُ: اشْفَعْ لي يا رَسُولَ الله أو يا فُلَانُ وفُلَانُ. وإنَّما يقال: اللَّهُم شَفِّعْ في نَبِيَّك.

والنَّوعُ الآخَرُ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ وهي الشَّفَاعَةُ الخَالِيَةُ مِن إِذْنِ الله ورِضَاه. فاخْتَلَّتْ فيها الشُّرُوطُ الْمُتَقَدِّمَةُ فلا شَفَاعَةَ لِمُشْرِك؛ لأنَّ اللهَ لا يَرْضَى

الشِّرْك كما قال الله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، وروى البخاري(٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»، وروى مسلم(١٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا».

[القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ]

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ ظَهَرَ على أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ في عِبَادَاتِهِم، منهم مَن يَعْبُدُ الملائكةَ، ومنهم مَن يعبدُ الأنبياءَ والصَّالحينَ، ومنهم مَن يَعْبُدُ الأَشْجَارَ والأَحْجَارَ، ومنهم مَن يعبدُ الشَّمْسَ والقَمَرَ، وقَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ ولم يُفَرِّقْ بينَهُم، والدليلُ قَولُهُ تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال:٣٩]. ودليلُ الشَّمْسِ والقَمَرِ قولُهُ تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]. ودَلِيلُ الملائكةِ قَولُهُ تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠]. ودَلِيلُ الأنبياءِ قَولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦]. ودليلُ الصَّالحِينَ قَولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧]. ودليلُ الأَشْجَارِ والأَحْجَارِ قَولُهُ تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ

الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم:١٩-٢٠]، وحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِي ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: (ذَاتُ أَنْوَاطٍ). قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ...الحديث.

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ القَاعِدَةَ الثالثةَ وهي: أنَّ المشركينَ كانُوا مُتَفَرِّقِينَ في عِبَادَاتِهِم ومَعَ هذا قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ جميعًا ولم يُفَرِّقْ بينهم.

فلم يَكُن شِرْكُهُم بعِبَادَةِ الأَصْنَامِ فقط، **وفي هذا الرَّدُّ على شُبْهَةٍ هي مِن أَعْظَمِ شُبُهَاتِ عُبَّادِ القُبُورِ والأَوْلِياء وغيرهم**؛ فإنَّهُم يقولون: الشِّركُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ فقط!! والمشركونَ لم يَكُونُوا يعبدونَ إلا الأَصْنَامَ!!، وكيفَ تُسَوُّونَ بين مَن دَعَا مَلَكًا أو نَبِيًّا أو وَلِيًّا وبينَ مَن يَعْبُدُ الأَصْنَامَ؟!!

وجوابُ هذه الشُّبُهَاتِ بهذِه القاعدةِ العَظِيمةِ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قَاتَلَهُم جميعًا ولم يُفَرِّق بينهم؛ لأنَّ كُلَّ مَن عَبَدَ غيرَ اللهِ فهو مُشْرِكٌ، ولو كان المَدْعُو مَلَكًا أو نَبِيًّا أو وَلِيًّا أو صَنَمًا أو حَجَرًا، والأدلةُ المذكورةُ وَاضِحةٌ ظاهرةٌ في بيان ذلك.

وقولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧] أي: هؤلاء الذين تَعْبُدُونَهُم مِن دون الله مِن الصَّالحين الذين يعبدونَ اللهَ ويَخَافُونَهُ ويَرجُونَهُ فكيفَ تَعْبُدُونَهُم؟!! وسَبَبُ نُزُولِهَا ما رواه البخاري(٤٧١٤) ومسلم (٣٠٣٠) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" وفي رواية: فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ.

ولا شَكَّ أنَّ كُلَّ مَن عَبَدَ صَالِحًا فإنَّهُ بَرِيْءٌ منه بل إنَّ كُلَّ المعبودين يَتَبَرَّؤُونَ يومَ القيامة من عَابِدِيْهِم قال الله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، وقال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦]، وقال الله عن خَلِيْلِه: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِنْ دُونِ الله أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥] بل الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ يَتَبَرَّأُ منهم قال الله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ

الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢]. **وقوله:** ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**﴾ [النجم:١٩-٢٠] ذكر اللهُ جل وعلا في هاتين الآيتين ثلاثةً مِن الأوثانِ هي أعظمُ أوثانِ الجَاهِلِيَّة: **أولها: اللَّات** وفيها قراءتان بتَخْفِيفِ التَّاءِ وتَشْدِيْدِهَا، فعَلَى التَّشْدِيْد اسمُ فَاعِلٍ مِن (لَتَّ)، فهو الرَّجُلُ الصَّالِحُ الذي كان يَلُتُّ السَّوِيْقَ للحَاجِّ. وعلى التَّخْفِيْفِ صَخْرَةٌ بَيْضاءُ مَنْقُوشَةٌ عليها بَيْتٌ بالطَّائِف. ولا تَعَارُضَ بينَهُما فَهُم عَظَّمُوا الرَّجُلَ، وعَظَّمُوا قَبْرَهُ، وعَظَّمُوا الصَّخْرَةَ التي كان يَلُتُّ عليها السَّوِيْق، كما ذكر عبدُ الرحمن بنُ حسن في فتح المجيد وغيرُهُ، وكان أكثرَ العَرَبِ تَعْظِيمًا له ثَقِيْفٌ أهلُ الطائف.

وثانيها: العُزَّى وهي شَجَرَةٌ بين مَكَّةَ والطَّائِف كان عليها بِنَاءٌ وأَسْتَارٌ وكانَ أكثرَ العَرَبِ تَعْظِيمًا لها قُرَيْشٌ. وقيل غير ذلك.

وثالثها: مَنَاة وهي صَخْرَةٌ على قولٍ كانت بين مكة والمدينة، وكان أكثرَ العَرَبِ تَعْظِيمًا لها أهلُ المدينة الأَوْسُ والخَزْرَج.

والحديثُ المذكورُ رواهُ التِّرمِذيُّ(٢١٨٠) وغيرُهُ وإسنادُهُ صحيحٌ، وقد صَحَّحَهُ الألبانيُّ، ودِلَالَتُهُ في كَوْنِ المشركين كانُوا يَتَبَرَّكُونَ بتَعْلِيقِ أَسْلِحَتِهِم بهذِهِ الشَّجَرَةِ؛ لتكُونَ أَقْوَى وأَمْضَى وأَحَدَّ، ويَعْكُفُونَ عندها طَلَبًا للبَرَكَةِ، وهذا مِن الشِّرْكِ.

[القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ]

قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِن الأَوَّلِيْنَ؛ لأنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ في الرَّخَاءِ ويُخْلِصُونَ في الشِّدَّةِ، ومُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُم دَائِمًا في الرَّخَاءِ والشِّدَّةِ، والدليلُ قَولُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

قَالَ الشَّارِحُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: ذكر المصنفُ رحمه الله القاعدةَ الرابعة وهي: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِن الأَوَّلينَ لشِرْكِهِم في حَالِ الرَّخَاء والشِّدَّةِ بخِلَافِ المشركينَ الأَوَائِلِ؛ فإنَّ شِرْكَهُم في حَالِ الرَّخَاءِ فقط، وأدلةُ ذلك كثيرةٌ منها قَولُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وقَولُهُ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ

فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:٣٢]، وقولُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس:٢٢-٢٣]، وقَولُهُ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٥٤]، وقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧]. والفُرُوقُ بين مُشْرِكِي زَمَانِنَا والمشركين الأوائل كثيرةٌ، وأحسنُ مَن جَمَعَها وبَيَّنَها شيخُنَا صالحُ العُصَيْمِيُّ حفظه الله في شرحه للقواعدِ الأربع حيثُ أَوْصَلَهَا إلى اثني عشر وَجْهًا بما لا أَظُنُّكَ تَجِدُهُ لغيرِه. وبهذا ولله الحمد يَتِمُّ شرحُ هذه القواعد النافعة أسألُ اللهَ بأسمائِهِ الحُسْنى وصِفَاتِه العُلَى أن يُصْلِحَ قُلُوبَنَا ويُثَبِّتَنا على التَّوْحِيد والسُّنَّة حتى نَلْقَاهُ وأن يَرْزُقَنا الإخلاصَ في القَوْلِ والعَمَلِ والحمدُ لله رَبِّ العالمين وصَلَّى الله على نبينا محمدٍ وعلى آلِه وصَحْبِه وسلم. وكان الانتهاءُ منها ليلةَ الإثنين

الثالثَ عَشَرَ مِن شوال لعام خمسةٍ وأربعينَ وأربعمائة ألف.

فهرس المحتويات